دلالات الألوان في آيات القرآن

أ.د. محمد محمود كالو

جامعة أدیامان - تركيا



2024

دلالات الألوان في آيات القرآن

أ.د. محمد محمود كالو

جامعة أدیامان - تركیا

1445 هـ - 2024 م

إصدارات منصة أُريد العلمية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [سورة فاطر].

وقال النبي ﷺ:

(الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ).

[أخرجه أبو داود (3878) واللفظ له، والترمذي (994)، وابن ماجه (3566)، وأحمد (2219).

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فقد خلق الباري سبحانه وتعالى كل ما في هذا الكون مسخراً لخدمة الإنسان، ولتحقيق راحته وسعادته، وشاءت قدرته على أن تكون جميع المخلوقات جميلة ونافعة، فينتفع بها الإنسان ويستفيد، وفي عين الوقت يستمتع بجمالها وتعدد ألوانها الرائعة، إذ وشح عوالمه بالنضارة، فالألوان سر البهجة والسرور في حياة الإنسان.

تصوروا لو كانت حياتنا بلا ألوان، لا لون للأشجار والجبال والسماء والطيور!

كيف بنا إذا لم نعد نرى عالم النبات زاخرًا بآيات الألوان الناطقة بعظمة الخالق وجلاله؟

كيف بنا إذا لم نعد نرى ممالك الطيور الزاهية بألوانها الرائعة والمتناغمة مع الطبيعة التي تنشأ فيها؟

كيف بنا إذا لم نعد نرى ألوان الدواب والحيوانات التي تأسر النواظر ما يعجز عن وصفه الواصفون؟

كيف بنا إذا لم نعد نرى بياض النهار؟ وسكون الليل الأسود البهيم؟ وشروق الشمس وغروبها بشفقها وغسقها؟

فما سرُّ هذه الألوان التي تُضفي على الحياة بهجتها ورونقها وسر وجودها البديع؟!

إن الألوان نعمة كبرى منحنا إياها الباري جل جلاله، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل:18].

والمتأمل في الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم يدرك أنه لا بدَّ من علاقة وتأثير لتلك الألوان على النفوس والأرواح، ولا بد من أسرار وراء تلك اللوحات البديعة في القرآن المجيد، وقد نص القرآن على أن في اختلاف ألسنة البشر وألوانهم آيات لمن يتفكر في عظمة الخالق سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:22].

وللألوان تأثير شديد في الإنسان، إذ تؤثر في سعادته وكآبته، وفي إقدامه وإحجامه، وربما أشْعَرَه ذلك اللون بالحرارة أو البرودة، بل ربما أثر اللون في شخصيةِ الإنسان، ونظرته إلى الحياة فلكل لون سرٌّ وتأثير.

المقدمة:

إن اللون هو أول لغة نخاطب بها المحيطين بنا، وهو من الأمور الأساسية التي نحتاجها في حياتنا اليومية، وللألوان أثر واضح في النفس، فكثيراً ما يرتاح الإنسان إلى لون معين دون لون آخر.

وإذا لاحظنا ارتباط الألوان بالضوء والنور والظلام ثبوتاً وفناء؛ ندرك بالضرورة صلة الدين برمزية الألوان ودلالاتها، فالألوان من خلق الله تعالى ومن إبداعه، استخدمها لخدمة الواقع العقلي والروحي معاً، فنجد الألوان استخدمت في التراث الإسلامي لأغراض عديدة فهي إما لإيقاظ حاسة، أو تنمية ذوق، أو لإثارة الإقبال على الحياة، أو لجمع شمل الجماعة، وإما للإيضاح والبيان، أو توجيه الأنظار إلى روعة الإبداع الرباني أو الإنساني.

كما نلاحظ أن مصطلح الألوان يشمل في إطلاقه الدوائر الكونية من إنسان وحيوان ونبات وجماد، وقد تجمع كل ذلك في صعيد واحد في قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِك إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:27-28].

وهذا تنبيه على قدرة الله وكماله في خلق الأشياء المتنوعة والمختلفة عن الشيء الواحد وهو الماء، فيخرج به ثمرات مختلفاً ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض وغير ذلك من ألوان الثمار والفواكه، كما هو مشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها، ومن الجبال خلق الحمر والبيض والغرابيب السود مختلفة الألوان كذلك، أما الناس والدواب والأنعام فإننا نلاحظ "الألوان المختلفة للبشر، فالأحباش والبربر في غاية السواد، والصقالبة والروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك، وهكذا حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد، بل الحيوان الواحد؛ يكون أبلق فيه من هذا اللون وذاك اللون"[1]، ولعل من أشمل الآيات لظاهرة الألوان وتنوعها قوله تعالى: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل:13]، فواضح من قوله: ﴿ مَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أن ذلك يشمل الحيوان والنبات والجماد والمعادن وما تتصف به من مختلف الألوان.

وإذا كان القرآن الكريم قد عالج الألوان في مختلف ظواهر الكون في نطاق عالم الشهادة ما يشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد؛ فإنه عالج الألوان أيضاً في شتى مناحي عالم الغيب وبخاصة فيما يتصل بحالة السماء، وبأحوال الجنة والنار وأهلهما وما يكتنفهم من متسع أو يحل بهم من عقوبات.

---

1 – رمزية الألوان بين الأديان – اليهودية والإسلام، محمد كمال جعفر، (د.ت):45.

ونشير هنا إلى أن حقيقة هذه الألوان لا تعني أن تكون بالضرورة مماثلة للألوان التي نعهدها في الدنيا، بناء على أن ما في الآخرة ليس فيه من الدنيا إلا الأسماء، كما "قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، يعني أن بين ذلك بوناً عظيماً وفرقاً بيناً في التفاضل"[1].

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية هذه الدراسة من أن اللون هو أحد أهم عناصر الجمال عند البشر، وقد بيَّن القرآن الكريم تلك الأهمية، وفي ثنايا آيات القرآن الكريم نلمس إعلاء قيمة اللون ودلالاته.

وقد جعلت دراستي هذه قراءة في الآيات التي تحدثت عن الألوان والوقوف على اللون ومدلولاته، مستعيناً بكتب التفسير والمعاجم العربية والدراسات السابقة في هذا المجال، لذا قد يكون منهج الدراسة قريباً من المنهج الإحصائي الوصفي.

الدراسات السابقة:

إن حديث القرآن الكريم عن الألوان ومدلولاتها موضوع جديد بالدراسة، فقلما تجد دراسات تناولت هذا الموضوع بشكل جاد، اللهم إلا بعض الدراسات العلمية المميزة التي تناولت ظاهرة الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم حيث ذكرت الجوانب الفنية لهذه الدلالات ومادتها واستخداماتها في السياق القرآني، ومن الدراسات السابقة:

1- **اللون ودلالاته في القرآن الكريم**، نجاح عبد الرحمن المرازقة، رسالة ماجستير غير مطبوعة، قدمت في المملكة الأردنية، جامعة مؤتة قسم اللغة العربية عام 2010م.

2- **ظاهرة اللون في القرآن الكريم**، محمد قرانيا، بحث منشور في مجلة التراث العربي، العدد 70 كانون الثاني يناير، السنة الثامنة عشر 1998م.

3- **الألوان ودلالتها في القرآن الكريم**، سليمان بن علي بن عامر الشعيلي، بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد 4، العدد 3، رمضان 1428 هـ أكتوبر 2007م.

4- **الضوء واللون في القرآن الكريم: الإعجاز الضوئي- اللوني**، نذير حمدان، الطبعة الأولى، 2002م دار ابن كثير، بيروت.

---

1 – تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى 1419 هـ: 464/7.

5- **اللون في القرآن الكريم**، أسماء وليد حمدون، بحث منشور في مجلة دراسات تربوية، وزارة التربية في العراق، عدد 3، 2008م.

6- **الألوان في القرآن**، عبد المنعم الهاشمي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.

أما كتبُ التفسير فلم تعنَ كثيراً ببيان صورة الجمال للآيات التي وردت فيها ذكر الألوان؛ وقصارى ما يذكرون بيان المعنى العام للآية، وما يرمز إليه اللون المستخدم في الآية، فمثل هذه الآيات تحتاج إلى نظرة أخرى تظهر جمال الصورة الذي ترسمه الآية، وهو وجه من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:22] فهذه الآية تؤكد على وجود معجزة في الألوان، وأنه يجب علينا أن نتفكر فيها ونسبّح الله سبحانه وتعالى.

وفي كتاب (التصوير الفني للقرآن الكريم) لم يتحدث سيد قطب أيضاً عن الصورة الجمالية التي ترسمها الألوان في القرآن الكريم، بل تحدث عن التخييل والتجسيم والصور المتقابلة التي يرسمها القرآت الكريم.

لذا أحببت إلقاء الضوء على آيات الألوان؛ محاولاً التأمل في دلالة هذه الألوان التي ذكرها القرآن الكريم؛ لما لها من أثر حسي ومعنوي على النفس الإنسانية، باعتبارها وسيلة للتمييز بين كثير من الأشياء المتعلّقة بالجانب البصري، وقد وضح القرآن الكريم أهمية الألوان، وجاءت بعض آياته لإعلاء قيمة اللون ودلالاته في القرآن الكريم.

خطة البحث:

جاءت هذه الدراسة على سبيل محاولة للتأمل في الآيات التي تحدثت عن الألوان ودلالاتها، وبيان الصورة الجمالية في سياقها القرآني من خلال توظيف الألوان في موقعها المناسب.

وقد جعلت هذه الدراسة في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة شاملة لنتائج البحث.

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، وسبب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث المعتمد.

الفصل الأول: **اللون في اللغة والحياة والقرآن**، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اللون في اللغة والحياة.

المبحث الثاني: اللون في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: **دلالات الألوان الرئيسة التي وردت في القرآن الكريم**، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اللون الأبيض ودلالاته.

المبحث الثاني: اللون الأسود ودلالاته.

المبحث الثالث: اللون الأصفر ودلالاته.

المبحث الرابع: اللون الأخضر ودلالاته.

المبحث الخامس: اللون الأزرق ودلالاته.

المبحث السادس: اللون الأحمر ودلالاته.

الفصل الثالث: الألوان غير المباشرة في القرآن الكريم.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج.

والله تعالى أسأل التوفيق والسداد.

الفصل الأول

اللون في اللغة والحياة والقرآن

لقد خلق الله تعالى الكون وما فيه وجعله مسخراً للإنسان؛ ومن هذه المخلوقات الألوان، فالألوان إحدى مخلوقات الله التي سخرها لبني آدم؛ فدورها لا يقف فقط عند الترفيه النفسي والأنس التي تضفيه على النفس البشرية؛ بل إن الأمر يتعدى ذلك بكثير.

"يُعَدّ اللون وسيلة مهمة من وسائل التعبير والفهم، وقد دّلت التجارب والبحوث على أنه لا يزال كنزاً مخبوءاً لم يتوصل الانسان إلى قراره، وأنه قوة موجبة تؤثر في جهازنا العصبي"[1].

فقد "أظهرت بعض الدراسات التي جرت في أمريكا، أن الأشخاص ذوي التعليم العالي، وأصحاب الدخل العالي، يفضلون الألوان الهادئة ذات الأطياف القريبة بتباين بسيط بينها، بينما يفضل ذوو التعليم البسيط، وأصحاب الدخل المتواضع الألوان الصارخة ذات الأطياف المختلفة والدرجات الشديدة التباين"[2].

المبحث الأول: اللون في اللغة والحياة:

للون قيمة كبيرة في الأدب العربي، فلقد عنيت اللغة العربية عناية فائقة بالألوان على ألسنة علمائها وخطبائها وشعرائها عبر التاريخ، حتى بات موضوع الألوان من المواضيع التي تفرد لها أبواب خاصة في بطون مصنفات اللغويين المشهورين.

ولعل أقدم ما وصل إلينا من المصنفات اللغوية التي أفردت مكاناً خاصاً بالألوان (كتاب الخيل) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى:209هـ) حيث خصص جزءاً مهماً من كتابه عن أكثر من ثمانين لوناً من ألوان الخيل بتموجاته الدقيقة[3].

لقد كان للألوان في المؤلفات التراثية صدى واضح وأثر كبير من ذلك ما نجده عن ابن الأعرابي في كتابه (أسماء خيل العرب وفرسانها) وكتاب (خلق الإنسان) لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت، وكتاب (فقه اللغة

1- انظر: اللون، محمد يوسف همام، مطبعة الاعتماد، مصر، الطبعة الأولى 1970م، واللغة واللون، أحمد مختار عمر، دار البحوث العلمية، الطبعة الأولى، 1982م: 148.

2- الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها) كلود عبيد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1434هـ 2013م: 44.

3- الألوان في معجم العربية، عبد الكريم خليفة، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد:33، السنة الحادية عشر، تموز –كانون الأول 1987م:12.

وسر العربية) لأبي منصور الثعالبي، وكتاب (المخصص) لابن سيده، وكتاب (الملمع) لأبي عبد الله الحسين علي النمري"[1].

وكثيراً ما نجد ارتباطاً وثيقاً بين الألوان واللُّغة والأحاسيس في حياتنا، فنقول مثلاً: "ضحكة صفراء"، و"أحلام ورديَّة"، و"كذبة بيضاء"، و"أيام سوداء"، و"الأيادي البيضاء" إلى غير ذلك.

"ولم يكن اللون عند العرب المسلمين من دون مدلول فلسفي ونفسي وجمالي، وقد جاءت الألوان في القرآن لتحقق موصوفات معينة، إذ يحتل اللون في الصورة التعبيرية مساحة نفسية واعتبارية أساسية غير شكلية ولا هي فضلة مما يمكن الاستغناء عنه بدون حضور الفعل اللوني، ذلك أن اللون ودلالته قد ارتبطا بمعانٍ ورموز عند العربي واستخدمت قوة تأثيرها الرمزي في القيم الروحية عن طريق العادات والتقاليد، فجاءت الألوان مرة على الحقيقة، وأخرى على سبيل الجانب المجازي، وأحياناً شعاراً أو رمزاً لشيء معين"[2].

وقد "اختلفت ألوان الأعلام الإسلامية في كل خلافة، فقد كان علم الدولة الإسلامية أبيض زمن الرسول والخلافة الراشدة، وأخضر زمن ملوك بني أمية، وأسود زمن العباسيين، وأحمر مع الدولة العثمانية"[3].

ولدى التأمل في آيات القرآن الكريم نجد أنها تعرض لنا جانباً من جمال الخَلْق والطبيعة الخلابة، فمثلاً يقول الله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٥–٨].

"امتن سبحانه على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم كما في سورة الأنعام، إذ عدها ثمانية أزواج، وبما جعل لهم فيها من المنافع من الجلود والأصواف والأوبار والأشعار، لباساً وفراشاً، ومن الألبان شراباً، ومن لحم الأولاد أكلاً.

﴿وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ أي ولكم فى هذه الأنعام زينة حين تردّونها بالعشي من مسارحها إلى منازلها التي تأوي إليها، وحين إخراجها من مراحها إلى مسارحها، وخصص هذين الوقتين بالذكر، لأن الأفنية تتزين بها، ففيها من جمال الاستمتاع بمنظرها فارهة صحيحة سمينة، ويتجاوب ثغاؤها ورغاؤها حين الذهاب والإياب، فيعظم أربابها في أعين الناظرين إليها، وقدم الإراحة على السرح مع

1- انظر: الألوان في معجم العربية، عبد الكريم خليفة: 25.

2- انظر: اللون في القرآن الكريم، أسماء وليد حمدون، بحث منشور في مجلة دراسات تربوية، وزارة التربية في العراق، عدد 3، 2008م:64.

3- الألوان، كلود عبيد:51.

تأخرها في الوجود، لأن الجمال فيها أظهر، وجلب السرور فيها أكمل، ففيها حضور بعد غيبة، وإقبال بعد إدبار، على أحسن ما يكون، إذ تكون ملأى البطون، حافلة الضروع"[1].

"فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة، وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام وشراب وركوب، بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات، تلبية حاسة الجمال، ووجدان الفرح، والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان"[2].

يعرض الله تعالى في هذه الآيات من لوحات الجمال الحسي، ويعدها من النعم ويمتن بها على عباده، ومن هذه الصور يأتي الامتنان باختلاف الألوان، وهذا دليل على أهمية هذه النعمة لما لها من أثر حسي ومعنوي على النفس البشرية، وهذا جانب عظيم من جوانب الإعجاز القرآني.

يقول علماء النفس: إن تأثير اللون في الإنسان بعيد الغور، فهو يؤثر في إقدامنا وإحجامنا، ويشعرنا بالحرارة والبرودة، وربما أشعرنا بالمسرة، أو بالكآبة، فاللون له تأثيرٌ كبير، بل قد يؤثر اللون في شخصية الإنسان، ونظرته إلى الحياة.

إن الألوان نعمة كبرى من الله تعالى ويجب أن نشكره عليها، فقد خلق الله سبحانه وتعالى السماء بهذا اللون، وجعل الزهور بعدة ألوان، والشجر باللون الأخضر؛ وثمارها بألوان شتى، كل تلك الأمور لم تخلق عبثاً، ولكن لحكمة ربانية، وقد اكتشف حديثاً أن لكل لون موجة معينة؛ ولكل موجة تأثير معين على خلايا جسم الإنسان وجهازه العصبي وحالته النفسية.

ولو تأملتَ الألوان كلها لوجدتها متعددة حتى في اللون الواحد، ألاَ ترى أن بياض الثلج مثلاً غير بياض الثوب، وغير بياض الجير؛ لذلك يصفون الألوان فيقولون: أبيض يقق، وأصفر فاقع، وأحمر قانٍ، وأخضر مدْهَام.

اللون لغة: قال ابن منظور في لسان العرب: "لون: اللون: هيئة كالسواد والحمرة، ولونته فتلون. ولون كل شيء: ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان؛ وقد تلون ولون ولونه. والألوان: الضروب. واللون: النوع. وفلان متلون إذا كان لا يثبت على خلق واحد"[3].

وقال الجوهري في الصحاح: "اللونُ: هيئةٌ كالسَواد والحمرة. ولَوَّنْتُهُ فتَلَوَّنَ. واللَوْنُ: النوع. وفلان مُتَلَوِّنٌ، إذا كان لا يثبُت على خُلُق واحد. ولَوَّنَ البسرُ تَلْويناً، إذا بدا فيه أثر النُضْج. واللَوْنُ: الدَقَلُ، وهو ضربٌ من النخل"[1].

1- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى:1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ، 1946 م: 57/14.

2- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة 25، 1996م: 216/4.

3- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المشهور بابن منظور، دار صادر، بيروت لبنان، 2003م، مادة [ل و ن].

وجاء في المعجم الوسيط: " (اللَّوْن) صفة الْجِسْم من السوَاد وَالْبَيَاض والحمرة وَمَا فِي هَذَا الْبَاب، واللون الأولي أحد أَقسَام الطيف الْأَصْلِيَّة (مج) (ج) ألوان وَالنَّوْع يُقَال: أَتَى بألوان من الحَدِيث وَالطَّعَام وَتَنَاول كَذَا وَكَذَا لوناً من الطَّعَام، (الملونون) من النَّاس غير الْبيض مِنْهُم (محدثة)"[2].

مما سبق نجد أن المعاجم العربية تقاربت في معنى اللون، وقد ذكر الثعالبي في كتابه: (فقه اللغة) فصلين:

أحدهما: في ضروب الألوان والآثار: حيث ذكر مفردات الألوان الموظفة في البياض والسواد والحمرة في الإنسان والحيوان، وعقد فصلاً آخر عن ألوان الثياب بشكل مقتضب[3].

وقال ابن عاشور في تفسيره: "وَالْأَلْوَانُ: جَمْعُ لَوْنٍ. وَهُوَ كَيْفِيَّةٌ لِسُطُوحِ الْأَجْسَامِ مُدْرَكَةٌ بِالْبَصَرِ تَنْشَأُ مِنَ امْتِزَاجِ بَعْضِ الْعَنَاصِرِ بِالسَّطْحِ بِأَصْلِ الْخِلْقَةِ أَوْ بِصَبْغِهَا بِعُنْصُرٍ ذِي لَوْنٍ مَعْرُوفٍ. وَتَنْشَأُ مِنَ اخْتِلَاطِ عُنْصُرَيْنِ فَأَكْثَرَ أَلْوَانٌ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ"[4].

1- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ-1987م، مادة [ل و ن].

2-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وغيره، نشر دار الدعوة (د.ت): 847/2.

3- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1422هـ، 2002م: 68-76.

4- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف بالتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى:1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ: 118/14.

المبحث الثاني: اللون في القرآن الكريم مفرداً وجمعاً وارتباط لفظ (الألوان) بلفظ (اختلاف ومختلف) ومدلولات ذلك.

الآيات التي ذكرت لفظ (لون– ألوان) هي:

1– ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ [البقرة:69].

2– ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة:69].

3– ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل:13].

4– ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:69].

5– ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:22].

6– ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:27].

7– ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:28].

8– ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:21].

نلاحظ من خلال الآيات السابقة أن لفظ (لون) مفرداً وجمعاً ورد في القرآن الكريم **تسع مرات**، منها **سبع مرات** في أربع سور **مكية** (النحل والروم وفاطر والزمر) بلفظ الجمع **(ألوان)** في إشارة إعجازية من الباري جل جلاله إلى الأطياف اللونية السبعة المعروفة والتي يتكون منها الضوء الأبيض.

ولفظ **(لون)** مفردة ذكرت **مرتين** في آية واحدة من سورة البقرة **المدنية** {مَا لَوْنُهَا} و {فَاقِعٌ لَّوْنُهَا}، والمتبصر في هذه الألفاظ، يجد تحديدًا لهوية وماهية اللون.

أما الألفاظ السبعة الباقية فبلفظ الجمع مقرونة ومسبوقة بلفظ المصدر {اخْتِلَافُ} مرة واحدة في سورة الروم.

ومقرونة ومسبوقة بلفظ اسم الفاعل {مُّخْتَلِفٌ}ست مرات، مرتان في سورة النحل، وثلاث مرات في سورة فاطر، ومرة واحدة في سورة الزمر.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:69].

ومعلوم أن الشراب المختلف الألوان الذي يخرج من النحل إنما هو خلاصة الرحيق المستمد من مختلف الزهور والرياحين التي تختلف لوناً وطعماً ورائحة.

ولعل من أجمع وأشمل الآيات لظاهرة الألوان وتنوعها قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل:13].

فقوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يشمل الحيوان والنبات والجماد من المعادن وغيرها وما يتصف به كل نوع من مختلف الألوان.

ونلاحظ أن القرآن الكريم لم يقتصر على مجرد الإشارة إلى مصطلح اللون مفرداً وجمعاً، وخاصاً وعاماً، بل ضم إلى هذه الألوان المحددة كثيراً من الحقائق والوقائع التي تناولت عالميْ الشهادة والغيب وما فيهما من ظواهر أو كائنات بشرية أو غير بشرية.

وارتباط لفظ (الألوان) بلفظ (اختلاف ومختلِف) يظهر مدى ما لهذه الكلمة من فروق، "ويبدو واضحاً أن اللون هنا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه اللفظة التي تدل على الفروق والتباين وتعدد المشارب، لإظهار أمرين:

1- قدرة الله سبحانه وتعالى وإعجازه فيما خلق من كائنات ومخلوقات، وما يضفي عليها من سماتٍ وأوصافٍ في اختلاف الألسنة وتباين الناس في اللون والميل، واختلاف الكائنات الأرضية الحية والنباتية والجامدة وما ينتج من البطون الجامدة والحية.

2- دعوة الإنسان إلى التبصر والتفكير؛ لأن عددًا من هذه الألفاظ اللونية قد سُبِق بقوله تعالى: ﴿ألم ترَ أنَّ اللهَ...﴾ وفي هذا دعوة صريحة للنظر بالعين، والتفكير بالعقل، والتبصر بالقلب، لدراسة هذه الظاهرة التزيينية دراسة واعية نستخلص منها العبرة والموعظة، ونقر فيها للخالق بالتفرد، والإبداع والإعجاز "[1].

الرمزية اللونية:

تستمر الدراسات حول الرمزية اللونية ولكنها تعتمد على مجموعة من الأدلة التراثية القصصية، لا تدعمها بيانات من دراسات علمية رصينة ومتينة، وجميع الدراسات تؤكد على ارتباط الألوان بالحالة الوجدانية والقيم عند الجماعات وهي حالات متنوعة بحسب الثقافات المختلفة.

فلذلك "الألوان السبعة لقوس قزح، طوبقت مع النوتات الموسيقية السبع، ومع السماوات السبع، ومع الكواكب السبعة، ومع أيام الأسبوع السبعة ... ولدى الكثير من هنود أمريكا الشمالية ارتبط كل قطاع

1- ظاهرة اللون في القرآن الكريم، محمد قرانيا، بحث منشور في مجلة التراث العربي، العدد 70 كانون الثاني يناير، السنة الثامنة عشر 1998م: 87-88.

من القطاعات الكونية الستة بلون مقدس: الشمال أصفر، الغرب أزرق، الجنوب أحمر، والشرق أصفر، كما أن السمت الأعلى متعدد الألوان والنظير الأسفل أسود.

كما رمزت الألوان عند بعضهم إلى عناصر الطبيعة، فالأحمر والبرتقالي: النار، الأصفر أو الأبيض: الهواء، الأخضر: الماء، الأسود أو الأسمر: الأرض"[1].

و"يسمى لوحة قياس الأطوال في الألوان (النانومتر) وهو جزء من مليار جزء من المتر، وتستعمل لقياس الأطوال القصيرة جداً، وهي غالباً ما تكون من أبعاد الذرة ، ويرمز لها بـ نم أو(nm)، وتستخدم هذه الوحدة أيضاً لوصف أطوال الموجة في المجال المرئي الذي يتراوح بين 400- 700 نانومتر، ولها استخدامات كثيرة في الفيزياء والكيمياء"[2].

وعندما يسقط الشعاع الضوئي على مادة ما تبدو بيضاء، فهذا دليل على أنها تعكس كل الألوان ولا تمتص شيئاً منها، وإذا رأينا مادة سوداء فهذا يعني أنها تمتص كل الألوان ولا تعكس شيئاً منها، أما المادة الحمراء فهي تمتص كل الألوان عدا الأحمر فتعكسه لنا فنراها حمراء وهكذا.

إن الضوء الذي نراه هو عبارة عن موجات لها تردد محدد، فالضوء الأحمر هو موجة لها تردد، واللون الأخضر هو نفس الموجة الضوئية ولكن لها تردد أكبر، وهكذا..، إذن تختلف الألوان عن بعضها باختلاف طول موجة كل منها أو تردده، وهذه آية تستحق التفكر، ولذلك ينبغي علينا أن نتدبر قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:27-28].

والعجيب أن الله تعالى ذكر في هذا النص الكريم شيئاً غريباً لا يمكن أن يصدر من بشر، وذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وهذا يعني أن العلماء هم أشد خشية لله من غيرهم، وهذه الآية كانت سبباً في إسلام أحد العلماء لأنه أدرك أنه لا يمكن لبشر أن يعرف مثل هذه الحقيقة، وتأملوا كيف ربط الله بين العلم وخشية الله من جهة؛ وبين معجزة الألوان من جهة ثانية، ليدلنا على أهمية هذا التنوع في عالم الألوان وتأثيرها على الإنسان.

وينبغي أن نعلم أن اللون نفسه يختلف مفهومه حسب موقعه، فقد يكون وجود اللون على الإنسان؛ غيره على الحيوان؛ ووجوده في الجماد غير وجوده في النبات، كما أن وجوده في الأكل غير وجوده في الشراب، ووجوده على المنزل غير وجوده على الملبس، وقد يبعث اللون الواحد فرحاً لشخص، أو ترحاً لآخر، فبقرة صفراء تسر الناظرين لكنها غالية الثمن كادوا لا يستطيعون دفع ثمنها.

1- الألوان، كلود عبيد: 44-45.

2- موقع ويكيبيديا.

كما أن رمزية اللون تختلف من ثقافة إلى أخرى "فالرمزية اللونية وعلم النفس اللوني مبنيان ثقافياً على روابط تختلف باختلاف الزمان والمكان والثقافة، وقد يكون للون الواحد رموز مختلفة جداً، وآثار نفسية متنوعة حتى في نفس المكان، كما أن ردة الفعل على الألوان ليست فطرية، بل هي مكتسبة وتختلف من منطقة إلى أخرى.

فاللون الأبيض على سبيل المثال؛ ذهب الأمر معه من النقيض إلى النقيض، فلمس الديك الأبيض كان محرماً عند بعض الإغريق، فيما كان فأل خير عند الأزتيك، وفيما كان الثوب الأبيض رداء الزفاف في أمريكا الشمالية، كان يُلبس في الجنازات في أجزاء من اليابان والصين، وفي بعض الثقافات يخصص الأسود للحداد، فيما يخصص للغرض نفسه في ثقافات أخرى"[1].

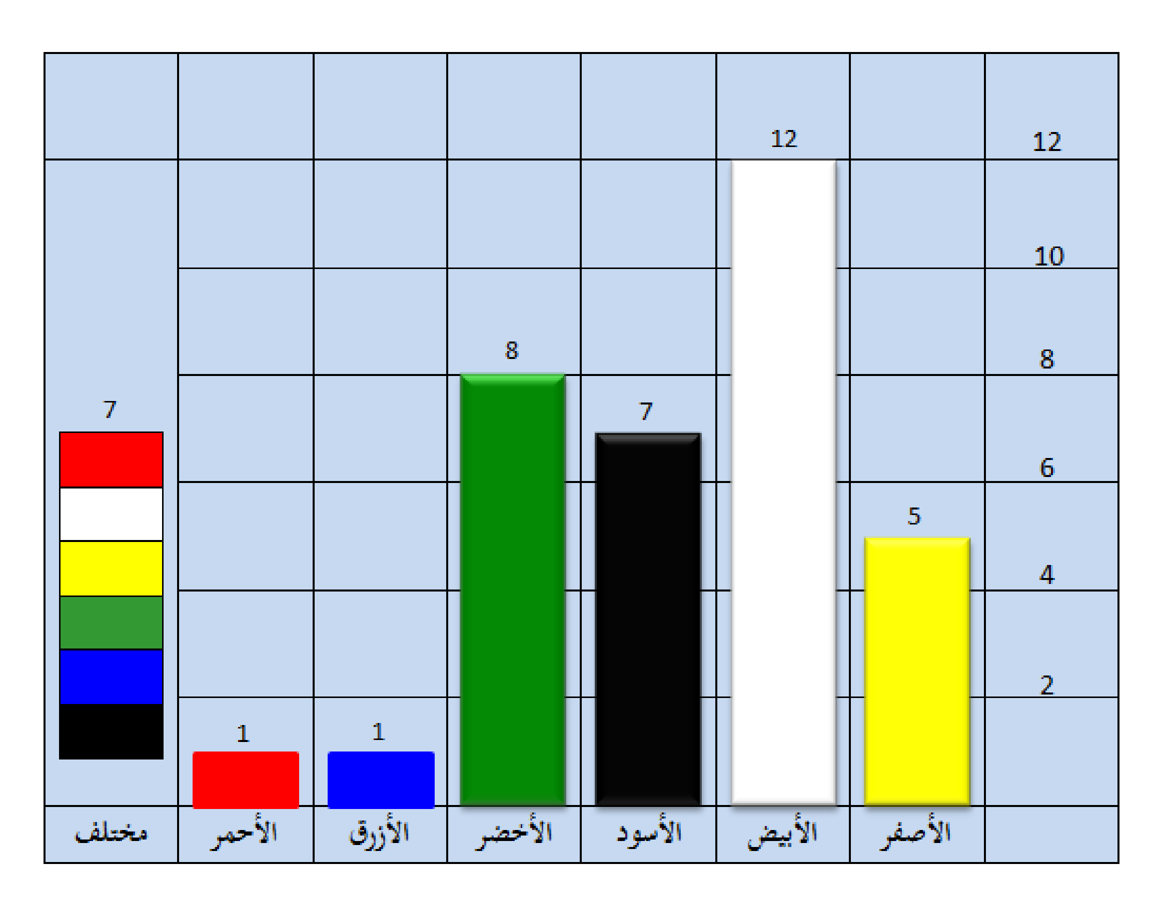
كما أن دلالة اللون ورمزيته يختلف في الثقافة الواحدة أيضاً بحسب موضع اللون ومكانه، "فإذا ما اعتقدت أن يد نبي الله موسى عليه السلام البيضاء تشع كالشمس تبهر فرعون وسحرته، كمعجزة من تسعٍ له، ووجوه المؤمنين بيض يوم القيامة ببشرى الجنات، فبياض الخير هذا لا يستمر فَأْلُه على عينيّ نبي الله يعقوب عليه السلام اللتان ابيضَّتا على ابنه يوسف عليه السلام من الحزن"[2].

فعندما تتغير هذه الألوان مرة بعد مرة من كل شكل جديد، وتتغير درجة شدتها أو تألقها فإن النتائج لا يمكن تصور أبعادها، فلكل لون رمز ومعنى حسب موقعه، وبناء على ذلك فليس هناك لون جميل ولون غير جميل في حد ذاته، وإنما جمال اللون أو قبحه ينتج من العلاقة التي تحدد معناه والموقع الذي يشغله في الشكل.

علماً أن هناك ألواناً باردة وأخرى حارّة، وكل ذلك له دلالات وتأثير على النفس الإنسانية.

1- الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها) كلود عبيد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1434هـ 2013م: 42.

2- اللون ودلالاته في القرآن الكريم، نجاح عبد الرحمن المرازقة، رسالة ماجستير غير مطبوعة، قدمت في المملكة الأردنية، جامعة مؤتة قسم اللغة العربية عام 2010م: 1.



توزيع الألوان حسب ترتيب ورودها وتكرارها في القرآن الكريم

الفصل الثاني
دلالات الألوان الرئيسة التي وردت في القرآن الكريم

الألوان الرئيسة التي وردت في القرآن الكريم ستة، وهي: (الأبيض، والأسود، والأصفر، والأحمر، والأزرق، والأخضر).

وقد ذكر القرآن الكريم ألفاظاً أخرى تحمل معاني الألوان من دون لفظها، مثل: (أحوى، مدهامتان، وردة كالدهان)، وأدخلت الدراسات الحديثة (النور والظلام) ضمن أبحاث اللون، وهو كثير في القرآن الكريم، ويرمز إلى الخير والشر، والإيمان والكفر، والحق والباطل، وسنفرد لذلك فصلاً خاصاً هو الفصل الثالث بإذن الله تعالى.

والآن سأبدأ بتفصيل القول في الألوان القرآنية الرئيسة الستة ودلالاتها ومعانيها، وما يرمز إليه كل لون.

المبحث الأول: اللون الأبيض ودلالاته:

وهو ثاني الألوان ذكراً في القرآن الكريم، فقد ورد ذكره في القرآن اثنتي عشرة مرة، وهي أكثر الألوان ذكراً في القرآن الكريم، وقد تميَّز اللون الأبيض في الإسلام عن سائر الألوان في وظيفته وطبيعته ورمزيته ودلالاته، وهناك شبكة من العلاقات تربط بين هذا اللون وبين سلوك الإنسان، حيث يكثر استخدامه في الحياة اليومية، وهو لون تعبيري ورمزي، وظف في المناسبات المفرحة والمواقف المحبوبة للإنسان، وهو لون الصفاء والنقاء، والطهارة والبرءة، والخير والحق، والتفاؤل والسلامة.

وبدأت باللون الأبيض لأنه **أفضل الألوان**، وقد حث النبي صلى الله عليه سلم عليه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ)[1].

الآيات التي ذكرت اللون الأبيض:

1 – قال الله سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة:187].

2 – وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:106].

3 – قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:107].

1- رواه أبوداود في سننه، كتاب اللباس، باب في البياض، برقم: 4061.

4 – وقال سبحانه: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف:108].

5 – وقال تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:84].

6 – وقال تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه:22].

7 – وقال سبحانه: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء:33].

8 – وقال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل:12].

9 – وقال أيضاً: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [القصص:32].

10 – وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ [فاطر:27].

11 – وقال جل جلاله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ. بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات: 46].

12 – وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ. كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات:49].

فدلالة اللون الأبيض في هذه الآيات توحي بالإيمان الناصع، والحزن الصادق، واللذة في الشراب، ورمز الصفاء والنقاء والطهارة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو كما تروي أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: (اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ)[1].

والأبيض هو ضِدّ الأَسود، "وبِيْض (أَصله بُيْض) بالضمّ أَبدلوه بالكسر؛ ليصحّ الياءُ. والأَبيض: السّيف. والأَبيض: الفضَّة. والأَبيض: الرجل النقيّ العِرض. والأَبيض: كوكب فى حاشية المجرّة، وقَصْر للأَكاسرة، نقضه المكتفي، وبنى بشرفاته أَساس التَّاج، وبأَساسه شرفاته. والأَبيضان: اللَّبن والماءُ، أَو الشحم والشباب، أَو الخبز والماءُ، أَو الحنطة والماءُ. والموت الأَبيض الفجاءَة. وابيضّ وابياضَّ ضدّ اسودّ واسوادّ. والبَيَاض: لونُ الأَبيض، واسم للَّبن. وفى كلامهم: إذا قلّ البَيَاض كثر السّواد وإذا كثر قلّ"[2].

ويتخذ القرآن الكريم اللون الأبيض والأسود وسيلة من وسائل التعبير في مشاهد القيامة فيتقابل اللون الأبيض واللون الأسود في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ

1- رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم برقم:6368، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم: 589.

2- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (د.ت): 133/2.

أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:106].

قال الراغب الأصفهاني: "والأَبْيَض: عرق سمّي به لكونه أبيض، ولما كان البياض أفضل لون عندهم كما قيل: البياض أفضل، والسواد أهول، والحمرة أجمل، والصفرة أشكل، عبّر به عن الفضل والكرم بالبياض، حتى قيل لمن لم يتدنس بمعاب: هو أبيض اللون، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:106]، فابيضاض الوجوه عبارة عن المسرّة، واسودادها عن الغم، وعلى ذلك ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [النحل:58] ، وعلى نحو الابيضاض قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ﴾ [القيامة:22] ، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس:38- 39]"[1].

وقد جاء فى معنى هذه الآيات فى وصف الفريقين قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ﴾ [القيامة:22-25] وقد جرت العادة أن القلب إذا سرّ استنار الوجه وتنضّر.

وهل ابيضاض الوجه واسوداده حقيقة أو مجاز؟

قال محمد رشيد رضا: "قيل: إن بياض الوجوه وسوادها هنا من باب الحقيقة، وأن ذلك يكون يوم القيامة خاصة، واحتج صاحب هذا القول بمثل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: 60] وقيل – وهو الراجح – إنه من باب الكناية"[2].

فهذه" الإشارة الكنائية تطوي معاني وإيحاءات، وهي تعلو الوجوه فتشير إليها دون وسائط بين المكنى به (اللون الأبيض) والمكنى عنه (حال المؤمنين هناك) والمكنى به.

(اللون الأسود) والمكنى عنه (حال الكافرين هناك)"[3] فضلاً عما في ذلك من تشويق وترهيب، ثم يكون استقرار كل فريق في مكانه، فيدخل هذا اللون الأبيض في وصف حال أهل الجنة، قال جل جلاله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ. بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ. لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: 45-47].

"قال الزجاج: (بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) أي من خمر تجري كما تجري العيون على وجه الأرض، والمعين: الماء الجاري الظاهر، (بَيْضاءَ) صفة للكأس، وقيل: للخمر، (لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) قال الحسن: خمر الجنة أشد

1- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ: 154/1.

2- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م: 42/4.

3- انظر: علم البيان في الدراسات البلاغية، علي البدري، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية 1984م: 280.

بياضاً من اللبن، (لَذَّةٍ) قال الزجاج: أي ذات لذة فحذف المضاف، وقيل: هو مصدر جعل اسماً أي بيضاء لذيذة، يقال شراب لذ ولذيذ، مثل نبات غض وغضيض... وقيل: (بَيْضاءَ) أي لم يعتصرها الرجال بأقدامهم، (لَا فِيها غَوْلٌ) أي لا تغتال عقولهم، ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع، (وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ) أي: لا تذهب عقولهم بشربها"[1] وإنما صرف الله تعالى السكر عن أهل الجنة لئلا ينقطع الالتذاذ عنهم بنعيمهم.

ومن الترغيب أيضاً قوله تعالى في وصف ما أعد لهم في الجنة، ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ. كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات:48-49]، فذكر «عند» لإفادة أنهن ملابسات لهم في مجالسهم التي تدار عليهم فيها كأس الجنة، فحضور الجواري مجالس الشراب من مكملات الأنس والطرب، وعين جمع: عيناء، وهي المرأة الواسعة العين النجلاوتها، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ وهذا وصف لرِّقة نساء الجنة جاء على سبيل التشبيه، "والبيض المكنون: هو بيض النعام، والنعام يكنُّ بيضَه في حفر في الرمل ويفرش لها من دقيق ريشه، وتسمى تلك الحفر: الأداحيّ، واحدتها أدحية بوزن أثفية، فيكون البيض شديد لمعان اللون وهو أبيض مشوب بياضه بصفرة، وذلك اللون أحسن ألوان النساء، وقديما شبهوا الحسان ببيض النعام"[2]. لأنها تبيض في الفلاة وتبعد ببيضها عن أن يمس، ومكنون: أي مستور لم يركب عليه غبار، "والعرب تقول لكل مصون (مكنون) لؤلؤاً كان أو غيره"[3].

قال امرؤ القيس:

وبَيْضَةِ خِدْرٍ لاَ يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ

حيث "شبه المرأة بالبيضة لبياضها ورقتها، وأضافها إلى الخدر لأنها مكنونة غير مبتذلة"[4].

ونوافق ما رجحه الطبري في تفسيره؛ الرأي الذي يقول: "شبهن في بياضهن، وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملْبَسة المح قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون; فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسها، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها"[5].

1- الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي" أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ، 1964 م: 78/15.

2- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور: 115/23.

3- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ: 209/8.

4- ديوان امرؤ القيس، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة 1984م:13.

5- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ، 2000م: 43/21.

إذ جاء اللون هنا صفة للكأس، وقيل للخمر، فهي أشد بياضاً من اللبن، ذات لّذة ولا تذهب بعقولهم

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف:108] "النزع في اللغة: عبارة عن إخراج الشيء عن مكانه فقوله: ﴿نَزَعَ يَدَهُ﴾ أي أخرجها من جيبه أو من جناحه بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ وقوله: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ﴾ وقوله: ﴿فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ قال ابن عباس: وكان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض.

واعلم أنه لما كان البياض كالعيب بيَّن الله تعالى في غير هذه الأية أنه كان من غير سوء.

فإن قيل: بم يتعلق قوله: ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾؟

قلنا: يتعلق بقوله: ﴿بَيْضَاءُ﴾ والمعنى: فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها بياضاً عجيباً خارجاً عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب"[1].

وسبب المغايرة بين الفعلين ﴿أَدْخِلْ﴾ و﴿اسْلُكْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل:12]، وقوله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [القصص:32]، "أن سلوك الأمكنة والسبل في قصة موسى في القصص، بخلاف ما ورد في النمل، فقد ورد فيها، أي: في سورة القصص سلوك الصندوق بموسى، وهو مُلقى في اليمّ إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقصُّ أثره. وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر، وسلوكه السبيلَ إلى العبد الصالح في مدين، وسَير موسى بأهله وسلوكه الطريق إلى مصر، حتى إنه لم يذكر في النمل سَيره بأهله بعد قضاء الأجل، بل إنه طوى كُلَّ ذِكْرٍ للسير والسلوك في القصة.

فقال مبتدئاً: ﴿إِذْ قَالَ موسى لأَهْلِهِ إني آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ بخلاف ما ورد في القصص، فإنه قال: ﴿فَلَمَّا قضى مُوسَى الأجل وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطور نَاراً﴾ فحسن ذكر السلوك في القصص دون النمل.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن الفعل (دخل) ومشتقاته تكرر خمس مرات في النمل[2] في حين، لم يرد هذا الفعل ولا شيء من مشتقاته في القصص، فناسب ذكره في النمل دون القصص.

ومن ناحية أخرى، إن الإدخال أخص من السَّلْك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل سلك، لأن السَّلْك أو السلوك، قد يكون إدخالاً وغير إدخال، تقول: سلكتُ الطريق وسلكت المكان، أي: سرتُ فيه، وتقول: سلكت الخيط في المخيط، أي: أدخلته فيه. فالإدخالُ أَخصُّ وأشقُّ من السلك والسلوك.

1- مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1420هـ: 14/329-330.

2- انظر الآيات من سورة النمل: (12-18-19-34-44).

فإن السَّلك قد يكون سهلاً ميسوراً، قال تعالى في النحل: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل: ٦٩]، فانظر كيف قال: ﴿ذُلُلاً﴾ ليدلل على سهولته ويُسْرِه، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١]، وهل هناك أيسر من سلوك الماء في الأرض وغوره فيها؟

فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر، ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب"[1].

"ولما كان اللون الأبيض على مر العصور يمثل النقاء والصفاء والصدق والأمانة والسلام والخير بشكل عام، فقد عبر عن كل ذلك باختيار الخالق جلّ وعلا لهذا اللون في هذه الحادثة ليوحي إلى قوم فرعون أنه صادق وتتمثل فيه كل صفات الخير، فضلاً عما في ذلك من الإعجاز الذي جاء متناسباً مع ما كان سائداً عندهم وهو السحر، فقد غلب بهذه المعجزة كل سحرهم"[2].

وقوله تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:84]، "ابيضاض العينين: ضعف البصر، وظاهره أنه تبدل لون سوادهما من الهزال، ولذلك عبر بـ ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ دون عميت عيناه.

ومِنْ في قوله: ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ سببية، والحزن سبب البكاء الكثير الذي هو سبب ابيضاض العينين.

وعندي أن ابيضاض العينين كناية عن عدم الإبصار كما قال الحارث بن حلزة:

قَبلَ مَا اليَومِ بَيَّضَت بِعُيونِ النَّـ ـاسِ فِيهَا تَغَيُّظٌ وَإِبَاءُ

وأن الحزن هو السبب لعدم الإبصار كما هو الظاهر، فإن توالي إحساس الحزن على الدماغ قد أفضى إلى تعطيل عمل عصب الإبصار على أن البكاء من الحزن أمر جِبِلِّي فلا يستغرب صدوره من نبي، أو أن التَّصَبُّرَ عند المصائب لم يكن من سنة الشريعة الإسرائيلية بل كان من سننهم إظهار الحزن والجزع عند المصائب"[3] .

وهكذا جاء اللون الأبيض على غير معناه المتداول بأنه لون جميل يصور البهجة والبشرى، فهو هنا صورة حزينة باكية مكانها عينا يعقوب عليه السلام، ولا سيما أن الفعل ﴿وَابْيَضَّتْ﴾ قد أُسند إلى العينين على سبيل المجاز العقلي الذي يوحي بأن يعقوب عليه السلام بعد فقده لابنيه تمنى أن لا ترى عيناه أحداً بعد أن حُرِمت رؤية ابنيه.

1- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثالثة، 1423هـ، 2003م: 111-112.

2- التدبيج في القرآن الكريم، عبد القادر عبد الله فتحي الحمداني، بحث منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 2، 2011/06/29م: 167-168.

3- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور: 43/13.

واللون الأبيض رمز الفوز والنجاح يوم القيامة؛ عندما تبيض وجوه وتسوَدّ وجوه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:106].

واللون الأبيض مرتبط عادة مع سلوك الإنسان، وكثيراً ما نستخدم في حياتنا اليومية مثل: الأيادي البيضاء؛ والوجه الأبيض؛ والراية البيضاء، وقد استخدم القرآن هذا اللون وحده في أكثر من موضع في سياق الآيات القرآنية آنفة الذكر، كما استخدمه مقترناً مع اللون الأسود، لما لهذين اللونين من ارتباط شديد ووثيق بين بعضهما، فقد ذكر اللون الأبيض مفرداً في سياق تحدي موسى عليه السلام لفرعون، في أكثر من موضع، حيث يطلب إليه إدخال يده في جيبه لتخرج بيضاء من غير سوء، وهي تعتبر من المعجزات.

كما يرمز اللون الأبيض إلى النقاء والصفاء؛ لذلك كان لون إحرام الحجيج أبيضاً يختزل أعماله وسيرته وتاريخه ويمزجها فتغدو نقياً صافياً.

ويرمز اللون الأبيض إلى بدء شعيرة تعبدية وهي بداية دخول شهر رمضان، فشبه الله تعالى الفجر المعترض في الأفق بـ ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلابْيَضُ﴾ وشبه غبش الليل بـ ﴿ٱلْخَيْطِ ٱلأَسْوَدِ﴾.

وينبغي أن ننتبه هنا في "مقابلة السواد بالبياض ليس مقابلة القبح بالجمال، فإن لكل لون موضع جمال وقبح، فللسواد مواضع زينة وقبح، كما للبياض مواضع زينة وقبح، إذ ليس كل أبيض جميلاً، ولا كل أسود قبيحاً"[1].

ويرمز اللون الأبيض للحزن الصادق كما في تصوير حالة نبي الله يعقوب عليه السلام حيث سبب له الحزن والكمد على فقد ابنه يوسف عليه السلام حالة من حالات العمى، والنص القرآني اذ يختار اللون الأبيض لتصوير الحالة التي أصابت العين، إنما هو بسبب ما يحمله هذا اللون من دلالة على الصمت والسكون والإحساس بالفراغ المرافق لحالة الحزن وكظم الغيظ.

واللون الأبيض صفة شراب أهل الجنة، فهو لون محبب ومريح للنفس، وقد وصف الله تعالى خمرة أهل الجنة بالبياض لما له من تأثير يبعث على المتعة والجمال، ولما يحمله اللون الأبيض من دلالة على الصفاء والنقاء، فقال تعالى: ﴿بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات: 46]، وبيضاء صفة للكأس، وعادة ما يكون الوصف بالمصدر فيقال: (لذيذ) فإذا جاء بهاء التأنيث كما في هذه الآية ﴿لذة﴾ "فهو الاسم لا محالة؛ لأن المصدر الوصف يفيد المبالغة في تمكن الوصف، ولا يؤنث بتأنيث موصوفه، يقال: امرأة عدل ولا يقال: امرأة عدلة.

1- الضوء واللون في القرآن الكريم: الإعجاز الضوئي- اللوني، نذير حمدان، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م: 6.

ووصف الكأس بها كالوصف بالمصدر يفيد المبالغة في تمكن الوصف، فقوله تعالى: ﴿لَذَّةٍ﴾ هو أقصى مما يؤدي شدة الالتذاذ بكلمة واحدة، لأنه عُدل به عن الوصف الأصلي لقصد المبالغة، وعُدل عن المصدر إلى الاسم لما في المصدر من معنى الاشتقاق"[1].

﴿بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ يقول ابن كثير: "أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم"[2].

ووصف الله تعالى المكرمين في الجنة بقوله: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات:49] أي: حابسات أنظارهن حياء وغَنجاً، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات:49] أي: كأنهن الريش في العش فلم تمسه الأيدي؛ ولم يصبه الغبار في الصفاء وشوب البياض بقليل صفرة مع لمعان، لأن البَيْض المكنون: هو "بيض النعام، والنعام يُكنّ بيضَه في حُفر في الرمل ويفرش لها من دقيق ريشه، وتسمى تلك الحُفر: الأَداحِيَّ، واحدتها أُدّحية بوزن أُثفية.

فيكون البَيض شديد لمعان اللون وهو أبيض مشوب بياضه بصفرة وذلك اللون أحسن ألوان النساء، وقديماً شبهوا الحسان بِبيض النعام، قال امرؤ القيس:

وبَيْضَةِ خِدْرٍ لاَ يُرَامُ خِبَاؤُهَا   تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ[3]

واللون الأبيض هو لون متميز من صخر الجبال ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ ويدل على مقدرة الخالق في الحجر الذي تعددت ألوانه، حيث ترى مثلاً الجرانيت والرخام والعقيق بألوان مختلفة كذلك.

ونلاحظ من مجموع الآيات التي ذكرت اللون الأبيض، أنه قد ورد ثماني مرات مترافقاً بأعضاء جسم الإنسان؛ منها خمس لليد، واثنان للوجه، وواحدة للعين.

فاللون الأبيض يرمز للإيمان ويذكِّر بملائكة الرحمن (كما ورد في حديث جبريل: شديد بياض الثياب)، ويرمز للسلام كالحمامة البيضاء؛ وصفاء النفس من الشرور إذ يختصر مقولات أطراف الصراع، ويرمز للنقاء في لباس المحرم بالحج والعمرة، ولون كفن الميت، ويرمز للصفاء كأول غذاء للمولود الجديد الحليب الأبيض الناصع، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل:66].

1- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، طبعة ابن سحنون عند قوله تعالى: (بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ) [الصافات:46].

2- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 10/7.

3- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور طبعة ابن سحنون عند قوله تعالى: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ) [الصافات:49].

المبحث الثاني: اللون الأسود ودلالاته:

وهو ثالث الألوان ذكراً في القرآن الكريم، فقد ورد في القرآن **سبع مرات** بعدد أبواب جهنم، وقد يعتبر هذا من الإعجاز العددي في القرآن الكريم، يقول تعالى عن عدد أبواب جهنم: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: 43-44].

وقد حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم أن جهنم **سوداء** مظلمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ)[1].

والأسود: لون صريح ويعتبر ملك الألوان، لأنه حصيلة كل الألوان الأساسية، كما يعتبر من الألوان المبهمة فهي ليست باردة ولا حارة.

وهنالك دلالات ثابتة للون الأسود منذ أن خلق الله هذا الكون، فالكون بطبيعته أسود؛ والسماء التي نراها بيضاء إنما بسبب الشمس، فالأصل في الكون السواد، ويوصف الليل بالأسود لشدة ظلمته، لذلك أثر سلباً على نفسية الإنسان؛ بأن الكون مليء بالأسرار، والبشر يخافون أبداً من السر والمجهول.

ولا يمكننا عادة إطلاق الحكم على اللون ومعناه في استخدام واحد، بل يكون له معان ودلالات عدة بحسب موقعه.

الآيات التي ذكرت اللون الأسود:

1 – قال الله سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة:187].

2 – وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:106].

3 – قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران:106].

4 – قال جل جلاله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل:58].

5 – وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:27].

6 – قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:60].

7 – قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف:17].

1- أخرجه الترمذي وابن ماجه.

ونلاحظ من خلال هذه الآيات: أن اللون الأسود ارتبط خمس مرات بالوجه وما يتحول إليه من سواد في الدنيا والآخرة نتيجة سوء الأفعال، ولتجسّد حال الكفار؛ والذين في قلوبهم مرض، وتعبيراً عن حالة الاكتئاب النفسي والتي تنعكس على الوجه بشكل خاص لأنه مرآة النفس والروح، والظاهر للعيان، حيث لا يمكن إخفاء ملامحه وتعابيره.

واختيار الوجه لتنعكس عليه الحالة النفسية دون غيره من الأعضاء؛ فيه حكمة بالغة، لتعبر عما في الجوانح من أحاسيس وهموم وخوف وألم، فكظم الغيظ والحزن والضيق يجعل النفس سوداوية، وهذه السوداوية تلتمس في الوجه، إذ يوصف به من يُبَشَّر بالأنثى فهو حزين ومغتم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:106]، أي وجوه كثيرة تبياضُّ ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ كثيرة، وبياضُ الوجهِ وسوادُه كنايتان عن ظهور بهجةِ السرورِ وكآبةِ الخوفِ فيه، وقيل: يوسَمُ أهلُ الحقّ ببياض الوجهِ والصحيفةِ وإشراقِ البَشرَة وسعْيِ النورِ بين يديه وبيمينه وأهلُ الباطلِ بأضداد ذلك.

قال الراغب الأصفهاني: "السَّوَادُ: اللّون المضادّ للبياض، يقال: اسْوَدَّ واسْوَادَّ، قال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:106] فابيضاض الوجوه عبارة عن المسرّة، واسْوِدَادُهَا عبارة عن المساءة، ونحوه: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل:58]، وحمل بعضهم الابيضاض والاسوداد على المحسوس، والأوّل أولى، لأنّ ذلك حاصل لهم سُوداً كانوا في الدّنيا أو بيضاً، وعلى ذلك دلّ قوله في البياض: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ﴾ [القيامة:22]، وقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ﴾ [القيامة:24]، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ﴾ [عبس:40- 41]"[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى﴾ أي إذا أخبر أحدهم بولادة بنت ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي متغيراً.

وقوله جل جلاله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل:58].

أي: صار أسودَ في الغاية من سوء ما بُشّرَ به ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: مملوء من الكرب والكآبة، والجملة في محل نصب على الحال.

وقال الشوكاني في قوله مسودّاً: "أي: متغيراً، وليس المراد السواد الذي هو ضد البياض، بل المراد الكناية بالسواد عن الانكسار والتغير بما يحصل من الغم، والعرب تقول لكل من لقي مكروهاً قد اسودَّ وجهه غماً وحزناً قاله الزجاج. وقال الماوردي: بل المراد سواد اللون حقيقة، قال: وهو قول الجمهور، والأول

1- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: 432/1.

أولى، فإن المعلوم بالوجدان أن من غضب وحزن واغتم لا يحصل في لونه إلا مجرد التغير وظهور الكآبة والانكسار لا السواد الحقيقي"[1].

وقال القرطبي: "وليس يريد السواد الذي هو ضد البياض، وإنما هو كناية عن غمه بالبنت، والعرب تقول لكل من لقي مكروهاً: قد اسودَّ وجهه غماً وحزناً قاله الزجاج. وحكى الماوردي أن المراد سواد اللون قال: وهو قول الجمهور"[2].

إذن هو يغالب ثورة من الحزن والضيق يكتم غيظه ويداريه، فالكناية باللون الأسود "تكثيف للحالة النفسية للذي يبشر بالأنثى، ولا شك في أن الكناية فيها سخرية لاذعة وهي تصور هذا الشخص مسود الوجه متوارياً عن الناس، مغالباً لصراع رهيب في نفسه من مجرد أن يبشر بولادة بنت له"[3].

ويتجلى أيضاً هوانُ المرأة وما تلاقيه من تعسُّف وظلم في المجتمع، وفيها دلالة على تبشيع هذه العادة الجاهلية وتفظيعها.

على أن للسواد دلالة خاصة في القرآن عندما يتصف به أولئك المشركون، فنهايتهم سواد الوجوه ومثواهم الجحيم.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف:17] يبرز "التهافت وعدم المعقولية ووضوح التناقض بين فكر هؤلاء وسلوكهم، إذ كيف ينسبون لله ما لا يرضونه لأنفسهم، وكان المقتضى أن يعظموا الأنثى إذا كانوا جادين في نسبتها إلى الله، أو ينزهوا الله سبحانه عن أن يكون له البنات، وعندئذ قد يفهم مبرر عدم ترحيبهم بالأنثى"[4].

وهذه الصورة الكئيبة تفعل فعلها المؤثر في النفوس، فتعمل على التنفير من الأخلاق الذميمة، والظلم، ونكران الجميل، والكفر بأنعم الله التي لا تعد ولا تحصى.

ولعل هذا اللون القاتم الحالك ارتبط بالظلم، إذ بين الظلم والظلام أشياء كثيرة مشتركة في المعنى والدلالة واللغة، وله تأثير بالغ في زرع الرهبة في نفوس من يتوعدهم النص القرآني بالعاقبة الوخيمة، لأن "الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[5].

1- انظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ: 204/3.

2- الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي": 116/10.

3- انظر: أسلوب السخرية في القرآن، عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م: 171.

4- رمزية الألوان بين الأديان: اليهودية والإسلام، محمد كمال جعفر، (د.ت):47-48.

5- أخرجه البخاري، في كتاب المظالم، بَاب: الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، برقم: 2447، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، برقم: 2578، والترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي الظُّلْمِ، برقم: 2030.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة:187].

قال أبو بكر البقاعي: "﴿الْخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾ قال الأصبهاني: وهو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود، وقال الحرالي: فمد إلى غاية انتهاء الليل وتبين حد النهار بأرق ما يكون من مثل الخيط ﴿مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ قال الأصبهاني: وهو ما يمتد معه من غبش الليل أي البقية من الليل"[1].

أما قصة عدي بن حاتم فقد روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم قال: «لما نزلت ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ عمدتُّ إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتُهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي الأبيض من الأسود فغدوت على رسول الله فذكرت له ذلك فقال رسول الله: إن وسادك لعريض، وفي رواية: إنك لعريض القفا، إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»[2].

إلا أن هذا العمل عمله غيره من الصحابة من قبله بمدة طويلة فعن سهل بن سعد قال: «أُنْزِلَتْ: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولم يزل يأكل حتى تتبين له رؤيتهما؛ فأنزل الله بعد ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187] فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[3].

ووضح محمد الطاهر بن عاشور هذا حينما قال:

"فيظهر من حديث سهل بن سعد أن مثل ما عمله عدي بن حاتم قد كان عمله غيره من قبله بمدة طويلة، فإن عدياً أسلم سنة تسع أو سنة عشر، وصيام رمضان فرض سنة اثنتين ولا يعقل أن يبقى المسلمون سبع أو ثماني سنين في مثل هذا الخطأ، فمحل حديث سهل بن سعد على أن يكون ما فيه وقع في أول مدة شرع الصيام، ومحمل حديث عدي بن حاتم أن عدياً وقع في مثل الخطأ الذي وقع فيه من تقدموه، فإن الذي عند مسلم عن عبد الله بن إدريس عن حصين عن الشعبي عن عدي أنه قال لما نزلت: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر إلخ فهو قد ذكر الآية مستكملة، فيتعين أن يكون محمل حديث سهل بن سعد على أن ذلك قد عمله بعض الناس في الصوم المفروض قبل فرض رمضان أي صوم عاشوراء أو صوم النذر وفي صوم التطوع، فلما نزلت آية فرض رمضان وفيها ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ علموا أن ما كانوا يعملونه خطأ، ثم حدث مثل ذلك لعدي بن حاتم.

1- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت): 85/2.

2- رواه البخاري في كتاب الصوم باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ...} برقم: 1916، ومسلم في كتاب الصيام باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر برقم: 1090.

3- رواه البخاري في كتاب الصوم باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ...} برقم: 1917، ومسلم في كتاب الصيام باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر برقم: 1091.

وحديث سهل لا شبهة في صحة سنده إلا أنه يحتمل أن يكون قوله فيه: ولم ينزل ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ وقوله: فأنزل الله بعد ذلك ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ مروياً بالمعنى فجاء راويه بعبارات قلقة غير واضحة، لأنه لم يقع في «الصحيحين» إلا من رواية سعيد بن أبي مريم عن أبي غسان عن أبي حازم عن سهل بن سعد فقال الراوي: «فأنزل بعد- أو بعد ذلك- ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾» وكان الأوضح أن يقول فأنزل الله بعد: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ - إلى قوله- ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾.

وأياً ما كان فليس في هذا شيء من تأخير البيان، لأن معنى الخيط في الآية ظاهر للعرب، فالتعبير به من قبيل الظاهر لا من قبيل المجمل، وعدم فهم بعضهم المراد منه لا يقدح في ظهور الظاهر، فالذين اشتبه عليهم معنى الخيط الأبيض والخيط الأسود، فهموا أشهر معاني الخيط وظنوا أن قوله: من الفجر متعلق بفعل يتبين على أن تكون (مِن) تعليلية أي يكون تبينه بسبب ضوء الفجر، فصنعوا ما صنعوا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم: «إن وسادك لعريض- أو إنك لعريض القفا» كناية عن قلة الفطنة وهي كناية موجهة من جوامع كلمه عليه السلام"[1].

قال أبو السعود: "واكتُفي ببيان ﴿الْخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾ بقوله تعالى ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ عن بيان ﴿الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل"[2] قال الزمخشري في الكشاف: "ويجوز أن تكون (مِنَ) للتبعيض، لأنه بعض الفجر وأوّله"[3].

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:27].

قال الراغب الأصفهاني: "﴿وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ [فاطر:27]، جمع جُدَّة، أي: طريقة ظاهرة، من قولهم: طريق مَجْدُود، أي: مسلوك مقطوع، ومنه: جَادَّة الطريق، والجَدُود، والجِدَّاء من الضأن: التي انقطع لبنها، وجُدَّ ثدي أمه على طريق الشتم، وسمي الفيض الإلهي جَدّاً، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا﴾ [الجن:3]، أي: فيضه، وقيل: عظمته، وهو يرجع إلى الأوّل، وإضافته إليه على سبيل اختصاصه بملكه، وسمي ما جعل الله للإنسان من الحظوظ الدنيوية جَدّاً، وهو البخت، فقيل: جُدِدْتُ وحُظِظْتُ وقوله عليه السلام: «لا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»، أي: لا يتوصل إلى ثواب الله تعالى في الآخرة بالجدّ، وإنّما ذلك بالجدّ في الطاعة"[4].

1- التحرير والتنوير، لابن عاشور: 185/2.

2- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت): 202/1.

3- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ: 231/1.

4- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: 188/1.

قال الزمخشري: " ﴿وَغَرابِيبُ﴾ معطوف على ﴿بِيضٌ﴾ أو على ﴿جُدَدٌ﴾، كأنه قيل: ومن الجبال مخطط ذو جدد، ومنها ما هو على لون واحد غرابيب"[1].

قال السمين الحلبي: "ولم يذكُرْ بعد «غرابيب سود» «مختلفٌ ألوانُها» كما ذكر ذلك بعد بيض وحُمْر؛ لأنَّ الغِرْبيبَ هو المبالِغُ في السوادِ، فصار لوناً واحداً غيرَ متفاوتٍ بخلافِ ما تقدَّم، وغرابيب: جمعُ غِرْبيب وهو الأسودُ المتناهِي في السوادِ فهو تابعٌ للأسودِ كقانٍ وناصعٍ وناضِرٍ ويَقَق، فمِنْ ثَمَّ زعَم بعضُهم أنه في نيةِ التأخير"[2].

وقد اتخذ اللون الأسود بعداً سياسياً فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ»[3].

وَسَمَّى النبي صلى الله عليه وسلم "رَايَتَهُ (الْعُقَابَ) لِسُرْعَتِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الصَّيدِ، وَيُقَالُ: كَانَتْ رَايَتُهُ الْعُقَابُ قِطْعَةً مِنْ مِرْطٍ أَسْوَدَ"[4].

ودخل اللون الأسود مع للعباسيين في شعارات الخلافة، وفي جميع مرافق الدولة بشكل عام.

واللون الأسود يرمز إلى عدة أشياء مثل: الخوف والاحترام والهيبة والثقة والأسرار والقوة والتحدي، فالشباب قوة؛ ولون شعر الشباب أسود، والسيارة السوداء أفخم وأهيب، كما أن اللباس الأسود يعكس الفخامة والأناقة؛ والرسمية والثقة والهيبة.

ولعلك قد شعرت يوماً ما بخوف شديد حينما دخلت سريعاً إلى غرفة مظلمة، أو تفاجأت في الليل بقطة سوداء أو كلب أسود بهيم؛ ذلك لأن اللون الأسود؛ لون الكون الذي يوحي بالخوف من الغموض والأسرار والمجهول، والخوف يعكس على اللون القوة والرهبة، ومن أجل ذلك استخدم اللون الأسود في المراسم الرسمية والملكية.

و"الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله وقبل يمينه" كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما[5]، وقد ورد أنه نزل من الجنة أشدُّ بياضٍ من اللبن؛ وأنه اسودَّ بسبب ذنوب البشر

1- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله: 609/3.

2- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق (د.ت): 228/9.

3- رواه مسلم في كتاب الحج باب جواز دخول مكة بغير إحرام برقم: 1359.

4- شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ، 1983م: 223/8.

5- مجموع الفتاوى لابن تيمية: 398/6.

وخطاياهم، فعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسوَّدتْه خطايا بني آدم"[1].

وفي كسوة الكعبة المشرفة باللون الأسود المتزن مما يضفي عليها الهيبة والجلال مع الجمال.

ولون الغيوم الممتلئة بالمطر، لكن للأسف ظلم الناس اللون الأسود، واستخدموه في المناسبات الحزينة، والمواقف غير المحبوبة، فلم يأت ارتباط اللون الأسود بالتشاؤم عبثاً، وإنما نتيجة لاستخدامه في بعض المناسبات غير البهيجة، والمواقف الحزينة، فلقد اعتاد الناس على لبس السواد في الأحزان والمآتم، فربطوا السواد بالموت، وإذا مات أحد الملوك وضعوا على صورته شريطاً أسود، لأنه رمز الخضوع للقدر والانقياد والخشوع أمام حكم الله تبارك وتعالى.

كما شاع بين الناس الخوف من الظلام والمجهول، فربطوهما باللون الأسود، للتنفير من الأشياء، فهو مرتبط بالغراب، ورمز الغراب الشؤم والموت؛ بسبب قصة الغراب الذي دفن غراباً ميتاً، قال الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [سورة المائدة:31].

فالغراب مرتبط بالفراق والموت أبداً، والسواد مرتبط بالليل؛ والليل مخيف وموحش.

المبحث الثالث اللون الأصفر ودلالاته:

وهو أول الألوان ذكراً في القرآن الكريم، وقد ورد ذكره في القرآن **خمس مرات**، وليس لهذا اللون إيحاءات ثابتة، فتارة يستمد دلالته من الذهب الإبريز وتارة من النحاس، كما يستمد أحياناً من صفرة الشمس عند المغيب أو النار، وأحياناً من ألوان بعض الثمار الناضجة كالليمون والتفاح والموز، وقد يستمد من الطِّيب كالزعفران، أو الصبغ مثل الورس؛ يقال أصفر وارس: أي شديد الصفرة، وأحياناً يستمدها من النبات الذابل حين يجف فيميل لونه إلى الاصفرار.

ويتميز اللون الأصفر بخصائصه الجمالية التي تسيطر على الأحاسيس البشرية والمشاعر العاطفية.

الآيات التي ذكرت اللون الأصفر:

1 – قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة:69].

2 – وقال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم:51].

3 – وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:21].

1- رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

4 – وقال تبارك وتعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:20].

5 – وقال جل جلاله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ. كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات:33].

ونلاحظ من خلال هذه الآيات أن اللون الأصفر دلَّ في القرآن الكريم على بعض صفات الحيوان والنبات والجماد، وارتقى مدلوله إلى أرقى ألوان الجمال، حيث وصف الله تعالى به البقرة الصفراء الفاقع لونها بأنها تُسِرُّ الناظرين، وقد بينت التجارب أن اللون الأصفر يبعث النشاط في الجهاز العصبي، وذلك لطول موجته، فإذا أردت أن تعلن إعلاناً صارخاً في الطرقات العامة، فاللون الأصفر أطول أمواج الألوان، فينشط الجهاز العصبي، ويؤثر فيه أبلغ تأثير.

ويفهم من قوله تعالى ﴿لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ أن الله تعالى لم يخلق الألوان للتمييز بين الأشياء فقط بل للتمتع بالألوان أيضاً، فالألوان تسر وتبهج النفوس، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من لبس نعلي جلد أصفرَ قلّ همّه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّاظِرِينَ﴾ [البقرة:69]"[1].

وهذا يعني أن أجمل الألوان في البقر هو الأصفر، وقد يجد فيه الجزارون أطيب اللحم بالنسبة للبقر الذي تَلَوَّن جلدُه بغير هذا اللون، "فالبقرة الصفراء ﴿تَسُرُّ الناظرين﴾ وتدل على صحة البقرة وسلامتها من العيوب أيضاً، فقد قرر أصول علم البيطرة: أن خير الأبقار وأفضلها ما كان لونها شديدة الصفرة في صفاء فاقع، وعلى قدر صفاء اللون تكون صحة البقرة"[2].

ومعروف أن "اللون الأصفر له درجات كثيرة، وهنا يحدد القرآن ذلك بقوله: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ وقد يظن أن الصفرة على العموم قد ترتبط بالضعف والشحوب والكلاحة، وهنا يوصد القرآن مثل هذا الظن بقوله: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّاظِرِينَ﴾ ومعلوم أن الناظر يسر بما تظهر عليه الحيوية والنضرة والصحة والنعمة"[3].

وإذا كانت الصفرة في البقر تسر الناظرين؛ فإنها في الآيات الباقية تدل على المرض والموت ونهاية الحياة، " لذلك أسند الفعل ﴿تَسُرُّ﴾ إلى ضمير البقرة لا إلى ضمير اللون، فلا يقتضي أن لون الأصفر مما يَسُرُّ الناظرين مطلقاً"[4].

وقد استفاد المتخصصون في علم الجمال وفيزيولوجيا اللون من هاتين الخصيصتين (جمال المنظر، والدلالة الحزينة) وطبقوهما على كثير من الدراسات المعاصرة، وأن اللون الأصفر كما هو لون الذهب والشمس

1– الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي عند قوله تعالى: (فاقع لونها تُسِرُّ الناظرين).

2– الألوان ودلالتها في القرآن الكريم، سليمان بن علي بن عامر الشعيلي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد 4، العدد 3، رمضان 1428 هـ أكتوبر 2007م.

3– رمزية الألوان بين الأديان: اليهودية والإسلام، محمد كمال جعفر، (د.ت):43.

4– تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: 553/1.

والغروب الجميل الذي يبعث على التفاؤل والأمل؛ فهو أيضاً لون نهاية الحياة حيث تتساقط الأوراق الذابلة المصفرة في فصل الخريف، ولون الصحارى القاحلة، ولون الجسم مع الأمراض المزمنة، فالمريض وجهه دائماً أصفر، وغير ذلك من الموحيات المؤثرة التي تثير الأسى في النفس.

ولذلك الاصفرار في الزرع ونحوه مؤذن بيبسه، ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم:51]، "والمِصْفَر: اسم فاعل مقتضٍ الوصف بمعناه في الحال، أي فرأوه يَصير أصفر، فالتعبير بـ ﴿مُصْفَرًّا﴾ لتصوير حدثان الاصفرار عليه دون أن يقال: فرأوه أصفر"[1].

معنى الآية ولئن أرسلنا ريحاً (أي مُضرّة) أفسدت الزرعَ؛ فرأوه مصفراً بعد الخُضْرَة؛ لظلّوا أي: لصاروا من بعد اصفرار الزرع مباشرة يكفرون: يجحدون ما سلف من النعمة، يعني أنهم يفرحون عند الخَصْب، ولو أرسل الله تعالى عذاباً على زرعهم جحدوا سالِفَ نعمته سبحانه!

فسياق الآية كاملاً يمثل حقيقتين: "الحياة المتجددة في أزهى صورها وبريقها وألوانها المختلفة، وحقيقة الموت والفناء في صورة حسية مشهودة تتملّاها العين ويحسها الفكر والوجدان"[2].

وفي "ورود الألوان المختلفة في الزرع تذكير لأولي الألباب من الناس للتفكر في خلق الله، فالزرع الأخضر الهائج استوى على سوقه أصفر، جعله الله حطاماً بعد نضرة وهياج يسر الناظرين"[3].

وقد جاء اللون الأصفر في الآية كناية عن الموت المرتبط بالزرع في كل هيئاته وأحواله وأشكاله وألوانه بعد تحوّله من ذروة الحياة في تشكيلها الجمالي إلى الموت.

أما المعنى الآخر لهذه الكناية فهو أن الإنسان مهما طال عمره فلابد من الانتهاء إلى أن يصير مصفرَّ اللون متحطم الأعضاء متكسراً كالزرع بعد نضرته وزهوته ثم تكون عاقبته ومصيره الموت، وقد قال عن ذلك ابن كثير: "هكذا الدنيا تكون خضرة نضرة حسناء، ثم تعود عجوزاً شوهاء والشاب يعود شيخاً هرماً كبيراً ضعيفاً وبعد ذلك كله الموت"[4].

قوله تبارك وتعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:20].

شبه الله تعالى هيئة أهل الدنيا في أحوالهم الغالبة عليهم من اللهو واللعب؛ بهيئة غيث أنبت زرعاً فاستوى وأينع واكتمل وأعجب به من رآه، ثم مضت عليه مدة فاصفرَّ ثم اضمحلَّ وتحطَّم، هذه هي هيئة الأحوال الغالبة على الناس في الحياة الدنيا في كونها محبوبة للناس مزهية لهم، كنبات جديد سرعان ما

1- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، طبعة ابن سحنون عند قوله تعالى: (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا).

2- انظر: الكناية في القرآن الكريم، أحمد فتحي رمضان، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1995م: 119.

3- انظر: الألوان في القرآن، عبد المنعم الهاشمي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م: 7.

4- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 5/50.

يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً، فكذلك الإنسان لأنه كالنبات سواء كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح:17]، ويكون الاستثناء ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فإنهم لا يصلون إلى حالة الخوف وأرذل العمر; لأن المؤمن مهما طال عمره، فهو في طاعة، وفي ذكر الله فهو كامل العقل.

قال محمد الطاهر بن عاشور: "وقوله: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ تضافرت كلمات المفسرين على تفسير يهيج بـ (ييبس) أو يجف، ولم يستظهروا بشاهد من كلام العرب يدل على أن من معاني الهياج الجفاف، وقد قال الراغب: يقال: هاج البقل، إذا اصفر وطاب، وفي «الأساس»: من المجاز هاج البقل، إذا أخذ في اليبس. وهذان الإمامان لم يجعلا (هاج) بمعنى (يبس) وكيف لفظ الآية ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً﴾، فالوجه أن الهياج: الغلظ ومقاربة اليبس، لأن مادة الهياج تدل على الاضطراب والثوران وسميت الحرب الهيجاء، وقال النابغة: أهاجك من سعداك مغنى المعاهد

والزرع إذا غلظ يكون لحركته صوت فكأنه هائج، أي ثائر وذلك ابتداء جفافه، وذلك كقوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ في سورة [الفتح:29].

وعُطِفتْ جملة ﴿يَهِيجُ﴾ بـ (ثم) لإفادة التراخي الرتبي لأن اصفرار النبات أعظم دلالة على التهيؤ للزوال، وهذا هو الأهم في مقام التزهيد في متاع الدنيا.

وعطف ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً﴾ (بالفاء) لأن اصفرار النبت مقارب ليبسه، وعطف ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾ بـ (ثم) كعطف ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾"[1].

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ. كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ فتصوير عجيب وتطوير غريب، حيث شبه الله تبارك وتعالى كل شرارة من نار جهنم كقصر من القصور المشيدة والبناء العالي في العِظم، والتشبيه الثاني بيان للتشبيه الأول على معنى أن التشبيه بالقصر كأن المتبادر منه إلى الفهم العِظَم فحسب، فجاء التشبيه الثاني كأنه في حجمه ولونه وكثرته وتتابعه وحركته في تطايره كطائفة من الجمال في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة (جِمَالَةٌ صُفْرٌ) والتنوين للتكثير، وجمالة جمع جَمَل، كحجر وحجارة، والصُفرة: لون الشرر إذا ابتعد عن لهيب ناره، "وهذا تشبيه مركب لأنه تشبيه في هيئة الحجم مع لونه مع حركته. والصفرة: لون الشرر إذا ابتعد عن لهيب ناره"[2].

وتختلف دلالات اللون الأصفر بحسب وجوده في الأشياء، فالأصفر الفاقع الصارخ يدل على الجمال والتألق والحيوية، واللون الأصفر في لون بشرة أو في لون ورقة ساقطة في الخريف يثير إحساساً بالموت والفناء، وفي لون الرمال الشاسعة يثير الإحساس بالجدب (القحط)، وفي لون الغلاف الجوي المحيط بنا

1- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: 405/27.

2- المصدر السابق: 437/29.

يثير الشعور بقرب عاصفة هوجاء، وهو في لون الفاكهة يثير إحساساً بالنضج والطراوة، وفي لون صفرة الشمس الساقط على بقاع الأرض يثير إحساساً بالدفء والحيوية، وفي بريق الذهب يثير الإحساس بالفخامة والأبهة.

وهو اللون الذي يرمز إلى الثراء؛ والسبب في ذلك يعود إلى أنّه لون الذهب والشمس، ويعتبر اللون الأصفر هو اللون المفضل للأذكياء، ويتميّز الإنسان الذي يحب هذا اللون بأنّه إنسان عملي وموضوعي، ويغلب على شخصيته المرح والانطلاق في الحياة، وبالتالي فهو مثالي متفائل، ويميل إلى حب الشهرة وكذلك لفت الانتباه، ويمتلك هذا اللون قدرة على شحن صاحبه بالحيوية والإبداع والطاقة، كما يتميّز محب هذا اللون بأنه محب للأفكار الجديدة، وكذلك محب للتغيير والتنقل من مكانٍ لآخر لاستكشاف وجوه وحيوات جديدة، ويعتبر هذا اللون هو لون التعقل، والتفكر. يشار إلى أنّ محبي اللون الأصفر اللامع يتميّزون بأنهم أشخاص يتمتعون بتفكيرٍ أصيل، كما أنهم يمتلكون طاقاتٍ مختلفة، وكذلك مستويات متنوعة حيث يرغبون في الخوض في العديد من المشاريع العملية أكثر من ميلهم إلى الكلام الفارغ في هذه الأمور، وهم أصحاب شخصيات متفائلة قادرة على قياس الأحاسيس والمشاعر الناضجة، وتجدر الإشارة إلى أنّه في حال كان اللون الأصفر قاتماً وشاحباً يؤدي إلى هبوط المعنويات والإحساس بالقلق والمرض، وتجدر الإشارة إلى أنّ السفن في السابق كانت إذا تفشى بين طاقمها مرض فإنّها ترفع الراية الصفراء.

المبحث الرابع اللون الأخضر ودلالاته:

وهو رابع الألوان ذكراً في القرآن الكريم، فقد ذكر اللون الأخضر مع مشتقاته في القرآن **ثماني مرات** بعدد أبواب الجنة الثمانية، وهذا من إعجاز القرآن الكريم وعظمته، فعن عبادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنّ لاَ إِلَـهَ إِلاّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ، وَأَنّ مُحَمّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنّ عِيسَىَ عَبْدُ اللهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنّ الْجَنّةَ حَقّ، وَأَنّ النّارَ حَقّ، أَدْخَلَهُ الله مِنْ أَيّ أَبْوَابِ الْجَنّةِ الثّمَانِيَةِ شَاءَ)[1].

وغالباً ما يعبر باللون الأخضر عن الخصب والربيع والنماء والري والقوة والأمل وطول العمر والنعومة في الحياة الدنيا، ومن ذلك تأويل يوسف عليه السلام للسنبلات الخضر التي رآهن فرعون بالسنين المخصبات التي ينمو فيها المحصول ويعم الخير في قوله تعالى: ﴿وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: 46] كما رمز بالسنابل اليابسة الجافة لسنوات الجدب الرهيبة، وهكذا كانت البقرات السمان إشارة إلى سنوات الخصب، والبقرات العجاف إشارة إلى السنوات المجدبة.

1- رواه البخاري ومسلم.

"فاللون الأخضر لون التفاؤل وارتياح النظر، لا يصيب مشاهده بالكآبة والضيق وإنما يضفي عليه راحةً وجمالاً، لذلك اختير لما يلبسه أهل الجنة"[1].

ففي وصف ثياب أهل الجنة يدخل اللون الأخضر، لما لهذا "اللون من بُعد جمالي يتجلى من خلال ارتباطه بالحقول والحدائق والأشجار، وهذا الارتباط يشير إلى الخصب والرزق"[2] ولهذا كان من ألوان النعيم في الجنة قال الله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ [الكهف:31].

قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً﴾ "لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة"[3].

واللون الأخضر هنا يمكن عده "كناية تشير إلى معناها المكنى عنه البعيد ويتمثل في الخلود، أي خلودهم في جنات النعيم لكرامتهم على الله تعالى الذين أخلصوا له فأكرمهم بالنعيم الدائم، فهو لون يشير إلى النعيم المادي والروحي سواء"[4].

واللون الأخضر هنا جزء من الترغيب إذ هو أحب الألوان إلى البشر، لأنه متصل بالطبيعة النباتية والحياة والخصوبة، فهو لون الحقول والغابات والحدائق، ويوحي سيكولوجياً بالراحة والصبر والنمو والأمل، وهو "لون الأمان والسلام، فالناس يرمزون إلى السلام بغصن الزيتون الأخضر الدائم الخضرة"[5].

وهو لون متفائل مريح للناظر، لا يصيب مشاهده بالكآبة والحزن والضيق وإنّما يضفي عليه راحةً وبهجةً وجمالاً، وكل ذلك مما تهفو إليه النفوس، ذلك أنه كان "نادراً في مجتمع مكة والمدينة لوجودهما في الصحراء المترامية، فذكره دليل بهجة وحياة وثمار نضرة وخير وفير"[6].

فضلاً عن أن "اللون الأخضر أعدل الألوان وأنفعها عند البصر وكان من شعار الملوك"[7] .

قال النابغة:

يَصُونُونَ أَجْسَاداً قَدِيْماً نَعِيْمُهَا   بخالِصَةِ الأَرْدَانِ خُضْرِ المنَاكِبِ

1- انظر: الألوان في القرآن، عبد المنعم الهاشمي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م:123.

2- انظر: اللغة واللون، أحمد مختار عمر: 164.

3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ: 280/3.

4- انظر: الكناية في القرآن الكريم، أحمد فتحي رمضان: 117.

5- انظر: الألوان في القرآن، عبد المنعم الهاشمي:109.

6- المصدر السابق:123.

7- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور:312/15.

والأردان جمع ردن، وهو مقدم كم القميص، (المعنى): يصونون أجسلدهم العريقة في التنعم بثياب بيض الأردان خضر المناكب، وكان هذا الزي من لبس الملوك"[1].

فاللون الأخضر رمز النبل والشرف، "وما يزال بعض الإسبان يضعون شارات خضراء على قبعاتهم علامة الشرف وقد ورثوها عن العرب"[2].

وقد "خص الله أهل الجنة بهذا اللون إذْ هو موافق للبصر، ولأن البياض يبدد النظر ويؤلم، والسواد يذَم، والخضرة بين البياض والسواد"[3].

وهو اللون المعبر للطبيعة، نراه بشكل خاص في النباتات بسبب وجود اليخضور الذي هو العامل الأساسي (في وجود الضوء) لحدوث عملية التمثيل الضوئي الغذائي للنباتات.

وهناك أيضاً بعض الحيوانات الخضراء، مثل: بعض أنواع الضفادع، وبعض السحالي والبرمائيات، وبعض الأفاعي والثعابين، وبعض الطيور مثل الببغاوات، ويرقات بعض الحشرات مثل: أفراس النبي.

واللون الأخضر يريح البصر ذلك لأن الساحة البصرية له أصغر من الساحات البصرية لباقي الألوان؛ كما أن طول موجته وسطي؛ فليست بالطويلة كاللون الأحمر وليست بالقصيرة كالأزرق.

والآيات التي ذكرت اللون الأخضر هي:

1- قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: 99].

2- قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: 43].

3- قال الله تعالى: ﴿وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: 46].

4- قال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: 31].

5- قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: 63].

6- قال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:80].

7- قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: 76].

8- قال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان:21].

1- أشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيارات من الشعر الجاهلي، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي المعروف بالأعلم (المتوفى: 476هـ) تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة 1403هـ، 1983م:206.

2- الألوان، كلود عبيد: 95.

3- ينظر: الألوان في القرآن، عبد المنعم الهاشمي: 115.

ومن خلال التدقيق في هذه الآيات نجد أن اللون الأخضر ارتبط مرتين بثياب ومجلس المؤمنين من أهل الجنة، بينما اقترنت في الآيات الأخر بالنباتات، ليدل دلالة واضحة على قدرة الله تعالى في الخلق والإعجاز في الإخصاب، فهذه المساحات الخضراء الواسعة في الأرض تستمد ماءها من غيث السماء، لتنبت من كل لونٍ وطعمٍ ورائحةٍ بأبهى حللٍ، تروق النظر، وتريح البصر، وتنعش النفس، وتبهج الفؤاد، وكأننا نشهد مهرجاناً زاخراً بالألوان والأشكال، وكلها مبهج وجميلٌ، يلذُّ الأعين والأحاسيس، موار بالحركة، متسع الرقعة، متناسق التكوين والتلوين، مع انعاش في الرائحة العبقة، وهذا كله من نِعَم الله تعالى التي تعبر عن المعاني النفسية والفكرية والاجتماعية التي لا تخطر على بال البشر في استخدام الطبيعة للتعبير عن تلك المعاني الإنسانية الحية.

وهذا اللون في الإسلام له دلالة خاصة تجعله مميزاً عن باقي الألوان ومقدماً عليها، إذ هو من الألوان المحببة لأنه لون الجنة يوم القيامة، حيث ضرب الله مثل القيامة من اخضرار المزارع في الربيع بعد أن كانت كالموات، وجعل اللون الأخضر لون لباس أهل الجنة؛ حيث السندس الأخضر وهو ما رق من الديباج؛ والإستبرق الأخضر وهو ما غلظ من الديباج وثخن، وقيل هو الحرير، وهو لون فرش أهل الجنة، ذكر الله كل ذلك ليلفتنا إلى الجنة، وإلى أهمية التشبه بهم فى ملابسنا وفرشنا فى الدنيا لعلنا نذوق جزءاً من سعادتهم ونعيمهم، وننعم ببعض سلامتهم من الأمراض فى الآخرة، وهو اللون المفضل عند النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك طُليت قبة المسجد النبوي باللون الأخضر فوق قبره الشريف، واختير للروضة الشريفة زرابي خضراء، وعَن أَنَس رضي الله عنه؛ (أَن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم كَانَ يُحِبُّ الْخُضْرَةَ، أَوْ قَالَ: كَانَ أَحَبُّ الأَلْوَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم الْخُضْرَةَ)[1].

وعَن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلَّم: (ثلاثة يجلين البصر، النظر في الماء الجاري، والنظر في الخضرة، والنظر إلى الوجه الحسن)[2].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:80]، "ذكر ما هو أغرب من خلق الإنسان من النطفة، وهو إبراز الشيء من ضده، وذلك أبدع شيء، وهو اقتداح النار من الشيء الأخضر. ألا ترى أن الماء يطفيء النار؟ ومع ذلك خرجت مما هو مشتمل على الماء"[3].

1- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وغيره، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م): 458/13.

2- الطب النبوي، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 2006 م: 247/1.

3- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ: 84/9.

فالشجر الأخضر الذي يصبح حطباً للنار هو من آيات خلق الله وعظمته فهو بوصفه الأخضر يعني أنه رطب يسري الماء في أوعيته وتجاويفه، ولكن بقدرة الله يتحول إلى حالة أخرى بعد جفافه ليصبح ناراً، "والكناية باللون الأخضر تُشير إلى الحياة المنبثقة من أعماق التربة الميتة"[1]، فالتعبير الكنائي قائم على التضاد، والتضاد من شأنه أن يجلي المعنى المكنى عنه في أعمق صورة، فالشجر الأخضر بما فيه من رواء وماء هو نقيض (النار)، وما تعرضه الكناية هو "حالة محسوسة مشاهدة في صورتها ومعناها لكنها تشير إلى المعنى البعيد المكنى عنه وهو إخراج الحياة من الموت، وهكذا يقرب القرآن إلى الأذهان حقيقة البعث والنشور فهو يجعل من هذه المحسوسات في الطبيعة القرآنية دليلاً حسياً شاخصاً للعيان يستدل بها على أنّهم سيبعثون وأنهم سيحاسبون على ما يقترفون"[2].

وللمفسرين رأيين في هذه الآية:

الأول: "أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً ذا ثمر وينع، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء.

وقيل: المراد بذلك شجر المرخ والعفار ينبت في أرض الحجاز، فيأتي من أراد قدح نار وليس معه زناد، فيأخذ منه عودين أخضرين، ويقدح أحدهما بالآخر، فتتولد النار من بينهما، كالزناد سواء، وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي المثل: لكل شجر نار واستمجد المرخ والعفار"[3].

ونشاهد هذا عبر شاشات التلفاز حينما تلتهم الحرائق أشجار الغابات وكأن فيها نفطاً أو بترولاً رهيباً يسعر النار ويؤججها بسرعة وبصورة مفزعة.

فاللون الأخضر قد ورد في الآية بصورة حسية مشاهدة يستدل بها القرآن على إمكان البعث والنشور لأجل الحساب والجزاء.

1- الكناية في القرآن الكريم، أحمد فتحي رمضان: 115.

2- الطبيعة في القرآن الكريم، كاصد ياسر الزيدي، دار الرشيد، العراق، 1980م: 119.

3- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 6/530-531.

المبحث الخامس اللون الأزرق ودلالاته:

وهو خامس الألوان ذكراً في القرآن الكريم، فقد ورد هذا اللون أيضاً **مرة واحدة** فقط في القرآن، وذلك في وصف المجرمين حين يحشرون يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه:102].

إن اللون الأزرق يصنف من بين دائرة الألوان: باللون البارد جداً، وهو يرمز إلى الفسحة والعطاء والأصالة؛ لذلك لون السماء زرقاء، ولون البحر أزرق لأنه واسع جداً؛ ويحتوي على الخيرات واللحم الطري من جميع أنواع الأسماك.

واللون الأزرق رمز الحياة لأنه مصدر التنفس، والماء مصدر الحياة؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:30].

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكرّمه على مخلوقاته، ووصفه في الكتاب العزيز بأجمل الصفات وأحسن النعوت؛ حينما يكون إنساناً سوياً، أما إذا انحرف عن جادة الحق والصواب؛ وسار في دروب الظلم والظلام والضلال؛ فإن القرآن الكريم يعرضه في لوحة مجسمة؛ نفسية وخلقية منفِّرة، تجافي جوهر الجمال ووظائفه، فيستخدم اللون الأزرق في وصف ما يؤول إليه حال المجرمين يوم القيامة، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ أي زرق العيون والجسوم على هيئة من ضرب فتغيّر جسمه؛ وهو في جلد الإنسان قبيح المنظر لأنه يشبه لون ما أصابه حرقُ نارٍ، أي نحشرهم حال كونهم زرق الأبدان وذلك غاية في التشويه، ولا تزرقُّ الأبدان إلا من مكابدة الشدائد وجفوف رطوبتها، فحينما ترى شخصاً احتقن وجهه، وازرقَّ لونه بسبب شيء تعرَّض له، هذه الزُّرْقة عادة ما تكون نتيجة لعدم السلام والانسجام في كيماوية الجسم من الداخل، فهو انفعال داخلي يظهر أثره على البشرة الخارجية، فكأن هَوْلَ القيامة وأحداثها تُحدِث لهم هذه الزرقة.

ولعل ما نقله ابن الخطيب من "أن لباس الحزن في غرناطة بالأندلس كان أزرق اللون، ويعود ذلك إلى الأزرق القاتم الذي يقربه من السواد"[1]. لأن الزرقة كانت أبغض ألوان العيون إلى العرب لعدم إلفهم لها، ولأن الروم الذين كانوا أشد أعدائهم عداوة زرق.

وقيل: ﴿زُرْقاً﴾ أي: "عمياً لأن العين إذا ذهب نورها ازرقَّ ناظرها، ووجه الجمع عليه ظاهر، وعن الأزهري: المراد عطاشاً؛ لأن العطش الشديد يغيّر سواد العين فيجعله كالأزرق"[2]، ومنها المياه الزرقاء التي تصيب العين وقد تسبب العمى.

1- اللغة واللون، أحمد مختار عمر: 78.

2- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، عند قوله تعالى: (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) [طه:102].

ويعبّر اللون الأزرق عن الماء؛ فالبحار والأنهار والبحيرات تتخذ لونها الأزرق، فيدلّ اللون الأزرق على أهم عناصر الحياة وهو الماء، ويدل على السماء التي يأتي منها الخير، فاللون الأزرق هو الوحيد الذي يغمر سطح الأرض، ويعطي الشعور بالعمق، ويرمز البحر للمساحة والعطاء؛ ففيه الخير الكثير والقوّة؛ فأمواجه القوية تشعر الواقف ضدها بالضعف في مواجهتها، وعمق قاعه يشعر الإنسان بقدرته على حفظ الأسرار.

أما دلالة اللون الأزرق في جسم الإنسان؛ فإنه يدل على الضعف والتغير والمرض والتشويه، لذلك لا تجد اللون الأزرق في المأكولات نهائياً فهو غير مرغوب فيه؛ لأنه دلالة الكدمات أو الضربات أو المرض.

من ناحية أخرى ينصح الأطباء باللون الأزرق في تزيين الغرف في المستشفيات والدِّيكورات؛ وخاصة في غرف النوم للمرضى الذين يعانون من الأرق والعصبيَّة؛ فهو يساعد على الاسترخاء والسَّكينة واسترجاع الحيويَّة المفقودة، وله أثر إيجابي على عمل القلب والرِّئتين.

ويمتاز اللون الأزرق بتخفيف التوتر والعصبية عند الإنسان، ودلالاته بحسب موقعه أيضاً، فالأزرق في السماء يرمز إلى السمو والعمق، وعندما ينظر الإنسان إلى السماء سيشعر بالهدوء والطمأنينة والحياة، ولهذا تستخدم الملابس الزرقاء للمواليد الذكور دلالة على القوة والصلابة.

وتستخدم كبرى الشركات العالمية اللون الأزرق كشعارٍ لها، فهو يدل على القوة والثقة والعطاء والشفافية، ويُستخدم اللون الأزرق أيضاً في شعار مشروبات الطاقة للدلالة على القوة والطاقة، وتستخدم شركات التكييف اللون الأزرق أيضاً للدلالة على قدرة المكيف على التبريد، فهو يرمز إلى الهواء الطلق.

ويستخدم اللون الأزرق في المنتجات التي تتعلّق بالماء، وأدوات ومواد التنظيف السائلة، ويُستخدم في الترويج لقطاع الطيران وكلّ ما يتعلّق بالهواء والسماء والبحار والمياه المعدنية.

واللون الأزرق في المياه يوحي بالبرودة والارتواء، وفي الغيوم الخير والأمل، كما يبعث على الهدوء والتفاؤل؛ ويذكر أن الفتيات المقبلات على الزواج في اليونان يتفاءلن به، ويحرصن على ارتداء شريط أزرق أو خاتم أزرق في حفلات الزفاف منعاً للحسد.

ثم إننا نلاحظ أنه يتم استخدام الملابس الزرقاء ومشتقاتها للأطفال الذكور، وهي رمز بأن الولد أو الرجل يمثل القوة والصلابة.

والشركات الكبرى تستخدم عادة الشعارات الزرقاء؛ دلالة على القوة والثقة والدقة؛ والشفافية والعطاء، حتى عبوة مشروبات الطاقة مثل (ريد بول) زرقاء اللون، رغم أنه بالإنكليزية (red bull) تعني الثور الأحمر، ومع ذلك غطي التصميم باللون الأزرق دلالة على القوة والطاقة.

المبحث السادس اللون الأحمر ودلالاته:

وهو سادس الألوان ذكراً في القرآن الكريم، وقد ورد هذا اللون بلفظه الصريح **مرة واحدة** فقط في القرآن؛ مزروعاً بين اللونين الأبيض والأسود، للدلالة على مشهد جميل وحسن، وهو من مظاهر الجمال الحسي، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:27].

فلون الحمرة "يقع ضمن سياق متناسق تنسيقاً فنياً بديعاً وفريداً من التصوير الرائع، حيث تتوزع الألوان في رقعة حجرية من الأرض، وفيها ما يريح النظر، ويبعث المتعة في النفس الإنسانية، ويأخذ بها إلى التأمل والتفكير في براعةِ الخالق وقدرته العجيبة، فتبارك الله أحسن الخالقين"[1].

والملاحظ أن الأحمر نفسه ليس على درجة واحدة بل مختلف الدرجات، وكأن الأحمر نفسه عدة ألوان كما تشير إلى ذلك الآية ﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ حيث اللون الأحمر قابل للتدرج في الشدة أكثر من غيره، فهو بهذا التدرج الواسع يضفي على الشكل والمنظر جمالاً وبهاء ومتعة.

وإذا علمنا أن الأصل في تكوين معظم الجبال هو ما تقذفه البراكين من حمم منصهرة؛ فلا يبعد أن تدرج اللون الأحمر في الجبال لما له علاقة بأصل تكوينه وتلوينه من الحمم البركانية.

كما ورد اللون الأحمر بلفظ آخر ليدل على لون السماء حين تنفرج أبوابها لنزول الملائكة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن:37]، "والوَرْدَة: واحدة الورد، وهو زهر أحمر من شجرة دقيقة ذات أغصان شائكة تظهر في فصل الربيع وهو مشهور، ووجه الشبه هو شدة الحمرة، أي يتغير لون السماء المعروف أنه أزرق إلى البياض، فيصير لونها أحمر قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: 48]، ويجوز عندي أن يكون وجه الشبه كثرة الشقوق كأوراق الوردة.

والدهان، بكسر الدال: دردي الزيت. وهذا تشبيه ثان للسماء في التموج والاضطراب؛ كناية عن عظم هول يوم القيامة"[2].

قال الجوهري في الصحاح: " الحمرة: لون الأحمر، وقد احمر الشيء واحمارّ بمعنى... ورجل أحمر، والجمع الأحامر، فإن أردت المصبوغ بالحمرة قلت: أحمر والجمع حمر. والحمراء: العجم، لأن الشقرة أغلب الألوان عليهم. والأحامرة: قوم من العجم سكنوا بالكوفة... وأهلك الرجال الأحمران: اللحم والخمر... وموت أحمر، يوصف بالشدة. ومنه الحديث: "كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه

1- ظاهرة اللون في القرآن الكريم، محمد قرانيا:88.

2- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، طبعة ابن سحنون عند قوله تعالى: (فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) [الرحمن:37].

وسلم". ووطأة حمراء: جديدة. ووطأة دهماء: دارسة. وسنة حمراء، أي شديدة. وأحمر ثمود: لقب قدار بن سالف عاقر ناقة صالح عليه السلام"[1].

واللون الأحمر بصفة عامة يجتذب العين إليه بلا مقاومة، وتختلف دلالاته بحسب وجوده وموقعه، فعندما يقع اللون الأحمر في إشارة المرور فإنه يحذر من الخطر، وعندما يمثل في بقعة من الدم فإنه يثير الخوف والغثيان، وفي وسط النيران يثير الرعب والهلع، وهو على شفاه الفتاة الحسناء يدعو إلى الفتنة والشهوة، وفي لون تفاحة حمراء أو قطعة من البطيخ يثير الشهية، أما في ألوان الورود والزهور فإنه يثير الإحساس بالبهجة والجمال.

يُعتبر اللون الأحمر من الألوان النارية والتي تُعبّر عن الجرأة والقوة والحب، ووجدَ علماء الطاقة أن اللون الأحمر له تأثير على الجهاز العصبي، ويقوّي روح الانتماء، لهذا نرى أنّ الأشخاص الّذين يُعانون من بعض المشاكل الأسرية أو الذين يعانون من المشاكل النفسية مثل الوحدة والانعزال يحتاجون إلى وجود اللون الأحمر في حياتهم. كما أنّ المغتربين والذين يعيشون بعيداً عن أهلهم يميلون إلى تفضيل اللون الأحمر على غيره لأنه يشعرهم بالانتماء مجدداً، ونرى أنّ الدبلوماسيين الذين يزورون بلداناً غير بلدانهم يتم استقبالهم بسجادة ذات لون أحمر لتشعرهم بالانتماء إلى هذه البلاد.

ويفضّل تجنب اللون الأحمر في غرف النوم وذلك لأنه يمنع الاسترخاء والراحة، أثبتت الدراسات أن اللون الأحمر يُظهر صاحبه بشكلٍ جذّاب وقوي، فيفضل الرجال النساء اللواتي يرتدين اللون الأحمر، كما أثبتت بعض الدراسات الأخرى أنّ الرياضيين الذين يرتدون اللون الأحمر تزيد فرصتهم في الفوز، لأنه يزيد الثقة بالنفس ويظهر الرياضي الذي يرتدي الأحمر بشكل قوي وأكثر هيمنة أمام المنافسين.

ويعتبر هذا اللون الأحمر رئيسًا في الألوان الضَّوئية والصِّباغة، ويسبب الإحساس بالدفء والحرارة.

واللون الأحمر هو أكثر الألوان وضوحاً ولفتاً للنظر، ولذلك يستخدم للتَّنبيه، فترى الطالب يستخدمه للتَّظليل؛ ولوضع دوائر حول النقاط والأفكار المهمة أثناء دراسته، والمعلم يستخدم القلم الأحمر لتصحيح أوراق الطلبة.

وهو أكثر الألوان تألقاً لأنه لون الياقوت، يتربع بشموخ على أعلام أغلب بلدان العالم رمزاً لدماء الشهداء.

1- انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري: 636/2.

جدول دلالات الألوان الرئيسة في القرآن

م	ترتيب ذكر الألوان في القرآن	عدد مرات ذكر كل لون	في كم آية ذكر اللون	دلالــة اللون
1	الأول ذِكراً : **الأصفر**	5	5 آيات	* إدخال السرور على من ينظر إليه إذا كان في الحيوان. * الإفساد والدمار إذا كان في الريح. * الفناء واليبوسة والتهشم إذا كان في الزروع.
2	الثاني ذكراً : **الأبيض**	12	12 آية	* الضياء والصباح وإشراق الشمس إذا كان في وقت الفجر. * لون وجوه أهل السعادة يوم القيامة. * بعض الأمراض مثل ذهاب سواد العين عند الحزن الشديد. * معجزة موسى عليه السلام بابيضاض يده بدون برص. * لون بعض الجبال. * لون مشروبات أهل الجنة.
3	الثالث ذكراً : **الأسود**	7	6 آيات	* ظلمة الليل. * لون وجوه أهل النار من العصاة والكفار والكذابين على الله تعالى. * الكرب والحزن والهم.
4	الرابع ذكراً : **الأخضر**	8	8 آيات	* لون الشجر والزروع والأرض بعد نزول المطر. * لباس أهل الجنة ولباس الولدان المخلدون في الجنة. * لون أغطية وسائد أهل الجنة.
5	الخامس ذكراً : **الأزرق**	1	آية واحدة	* لون وجوه الكافرين عند الحشر من شدة أهوال ذلك اليوم، والخوف والرهبة والوجل.
6	السادس ذكراً : **الأحمر**	1	آية واحدة	* لون قطع بعض الجبال. * ألوان الثمار بالأشجار.

الفصل الثالث: الألوان غير المباشرة في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم ألفاظاً أخرى تحمل معاني الألوان دون لفظها، مثل: (الظلمة، النور، ضياء، الشيب، أحوى، مسفرة، قترة، غبرة، ناضرة، باسرة، وردة كالدهان، مدهامتان، يحموم). وكل منها يرمز إلى شيء معين.

1- كلمتا (**الظُّلْمَةُ والنُّورُ**) وهما تدلاّن على ألوان ثانوية بحسب السياق، فالظلمة تدل على لون معتم أسود بهيم، والنور من الألوان المشرقة التي تُدخل البهجة إلى النفوس، والانسان بطبعه يحب النور والضوء؛ ويكره الظلمة والعتمة، وقد وردت هاتان المفردتان في التعبير القرآني كثيراً، ويرمزان إلى الخير والشر، والإيمان والكفر، والحق والباطل، نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:1] فاللون هنا جاء على سبيل الاستعارة التصريحية، حيث استعيرت ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ للتعبير عن الكفر، واستعير ﴿النُّورَ﴾ للتعبير عن الإيمان، فاستعارة النور تصور طبيعة الإيمان وفعله الباني للحياة؛ لأنه يفتح منافذ الرؤية والبصيرة بكل جهاتها في الحياة، كما أنه إيحاء دقيق لمعنى الايمان وجوهره الأصيل، وقد لا تدرك حقيقة تماماً ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ إلا بفهم كل صور الحياة المنحرفة التي عايشها الانسان قبل الاسلام، وهي ظلمات بعضها فوق بعض تسحق إنسانية الانسان، فضلاً عن إيحاء ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ بالموت، وإيحاء ﴿النُّورَ﴾ بالحياة.

قال محمد رشيد رضا: "وقد أفرد النور وجمعت الظلمة هنا وفي كل آية قوبل فيها بين النور والظلام سواء كان ذلك في الحسي أو المعنوي، بل لم يذكر النور في القرآن، إلا مفرداً والظلمة إلا جمعاً؛ وحكمة ذلك أن النور شيء واحد وإن تعددت مصادره، ولكنه يكون قوياً ويكون ضعيفاً، وأما الظلمة فهي تحدث بما يحجب النور من الأجسام غير النيرة وهي كثيرة جداً، وكذلك النور المعنوي شيء واحد في كل نوع من أنواعه أو جزئي من جزئياته، ويقابل كلاً منهما ظلمات متعددة، فالحق واحد لا يتعدد والباطل الذي يقابله كثير، والهدى واحد لا يتعدد والضلال الذي يقابله كثير"[1].

2- كلمة (**ضِيَآءً**) ويلحق بالألفاظ التي تحمل معاني الألوان كلمة (ضِيَآءً) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا موسى وَهَارُونَ الفرقان وَضِيَآءً وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: 48] إذ "الضياء: أعلى مرتبة من النور، إذ كل ضياء نور؛ وليس كل نور ضياء"[2].

---

1 – تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا: 245/7.

2 – انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: 167/1.

قال أبو الهلال العسكري: "الْفرق بَين النُّور والضياء: أَن الضياء مَا يَتَخَلَّل الْهَوَاء من أجزاء النُّور فيبيض بذلك، وَالشَّاهِد أَنهم يَقُولُونَ: ضِيَاء النَّهَار، وَلَا يَقُولُونَ: نور النَّهَار إِلَّا أَن يعنوا الشَّمْس، فالنور الْجُمْلَة الَّتِي يتشعب مِنْهَا، والضوء مصدر ضاء يضوء ضوءاً يُقَال ضاء وأضاء أَي ضاء هُوَ وأضاء غَيره"[1].

وقال أيضاً: "النّور: الضّوء المنتشر الذي يعين على الإبصار"[2].

و"قد استعير (الضياء) للفرقان الذي هو منارة لعقول المتقين وقلوبهم، فهو الضياء الذي يرون من خلاله طريق الحق والهداية، وتنكير ﴿ضِيَآءً﴾ للتعظيم وعلو المرتبة، فهو سبب الهداية للناس على سبيل الاستعارة التصريحية؛ إذ له أثر في دعوة الأنبياء والمرسلين في شرح قلوب الناس للإيمان"[3].

3- كلمة (**الشَّيْب**) ومن الألفاظ التي تحمل معاني الألوان كلمة (الشَّيْب) قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:4].

قال الزمخشريّ جار الله: "شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته، وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه، وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة"[4].

قال محمد الطاهر ابن عاشور: "وشبه عموم الشيب شعر رأسه أو غلبته عليه باشتعال النار في الفحم بجامع انتشار شيء لامع في جسم أسود، تشبيهاً مركباً تمثيلياً قابلاً لاعتبار التفريق في التشبيه، وهو أبدع أنواع المركب. فشبه الشعر الأسود بفحم؛ والشعر الأبيض بنار على طريق التمثيلية المكنية ورمز إلى الأمرين بفعل ﴿اشْتَعَلَ﴾، وأسند الاشتعال إلى الرأس، وهو مكان الشعر الذي عمَّه الشيب، لأن الرأس لا يعمُّه الشيب إلا بعد أن يعُمَّ اللحية غالباً، فعموم الشيب في الرأس أمارة التوغل في كبر السن.

وإسناد الاشتعال إلى الرأس مجاز عقلي، لأن الاشتعال من صفات النار المشبه بها الشيب فكان الظاهر إسناده إلى الشيب، فلما جيء باسم الشيب تمييزاً لنسبة الاشتعال حصل بذلك خصوصية المجاز وغرابته، وخصوصية التفصيل بعد الإجمال، مع إفادة تنكير ﴿شَيْبًا﴾ من التعظيم فحصل إيجاز بديع. وأصل النظم المعتاد: واشتعل الشيب في شعر الرأس"[5].

1- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (د.ت):311.

2- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: 827.

3- التدبيج في القرآن الكريم، عبد القادر الحمداني:174.

4- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله:4/3.

5- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور:64/16.

وقال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً﴾ [المزمل:17] أي شيوخاً جمع أشيب، وهو مَثَل في الشدة يقال في اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال، يشيب الولدان الذين شعرهم في أول سواده، ومن هنا قيل الشيب نوار الهموم.

قال ابن عاشور: "وهذه مبالغة عجيبة وهي من مبتكرات القرآن فيما أحسب، لأني لم أر هذا المعنى في كلام العرب؛ وأما البيت الذي يذكر في شواهد النحو وهو:

إِذَنْ وَاللهِ نَرْمِيَهُمْ بِحَرْبٍ ... تُشِيبُ الطِّفلَ مِنْ قبْل المشيبِ

فلا ثبوت لنسبته إلى من كانوا قبل نزول القرآن ولا يعرف قائله، ونسبه بعض المؤلفين إلى حسان بن ثابت. وقال العيني: لم أجده في ديوانه. وقد أخذ المعنى الصمة ابن عبد الله القشيري في قوله:

دَعَانِيَ مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سِنِينَهُ ... لَعِبْنَ بِنَا شِيبًا وَشَيَّبْنَنَا مُرْدَاً

وهو من شعراء الدولة الأموية"[1].

4- كلمة (**أَحْوَى**) ومن الألفاظ التي تحمل معاني الألوان كلمة (أَحْوَى)، قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى﴾ [الأعلى:5].

قال ابن عاشور: "والأحوى: الموصوف بالحوة بضم الحاء وتشديد الواو، وهي من الألوان: سمرة تقرب من السواد، وهو صفة غثاء لأن الغثاء يابس فتصير خضرته حوة.

وهذا الوصف أحوى لاستحضار تغير لونه بعد أن كان أخضر يانعاً، وذلك دليل على تصرفه تعالى بالإنشاء وبالإنهاء، وفي وصف إخراج الله تعالى المرعى وجعله غثاء أحوى مع ما سبقه من الأوصاف في سياق المناسبة بينها وبين الغرض المسوق له الكلام إيماء إلى تمثيل حال القرآن وهدايته؛ وما اشتمل عليه من الشريعة التي تنفع الناس بحال الغيث الذي ينبت به المرعى فتنتفع به الدواب والأنعام، وإلى أن هذه الشريعة تكمل ويبلغ ما أراد الله فيها كما يكمل المرعى ويبلغ نضجه حين يصير غثاء أحوى، على طريقة تمثيلية مكنية رمز إليها بذكر لازم الغيث وهو المرعى"[2].

وجاء على سبيل وزن اسم التفضيل (أحوى) "فكان ذلك مدعاة للعبرة والعظة عبر التدبيج، ولا سيما باستخدام حرف العطف (الفاء) لعطف ما يحصل فيه حكم المعطوف بعد زمن قريب من زمن حصول المعطوف عليه، ولتصوير سرعة زوال الحياة الدنيا التي يغتر بها الإنسان ويؤثرها على الحياة الباقية"[3].

ولعل من دلالات اللون هنا وإيثار السواد أن يزهد الانسان في كل ما هو زائل ومنتهي في الحياة مهما كانت لّذته وجماله.

1- المصدر السابق:275/29.

2- المصدر السابق:278/30.

3- التدبيج في القرآن الكريم، عبد القادر الحمداني: 174.

5- كلمتا (**مُّسْفِرَةٌ – وقَتَرَةٌ**) ومن الألفاظ التي تحمل معاني الألوان أيضاً كلمتا: (مُّسْفِرَةٌ – وقَتَرَةٌ) فهي ألوان غير مباشرة، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ. تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس:38-41].

فجملة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ جواب (إذا)، أي: إذا جاءت الصاخة كان الناس صنفين: صنف وجوههم مسفرة ضاحكة؛ وصنف وجوههم مغبرة وعليها قترة.

وبضدها تتميز الأشياء، فالتقابل القائم على التضاد بين حال الفريقين هو "الإطار الفني الذي يبرز المشهد ويكشف عن عميق المعاني والإيحاءات للألوان المتضادة التي تجسد الحالة النفسية لكلٍ من الفريقين بما يرتسم على الوجوه، فالإسفار في وصف المؤمنين كناية عن تصور المؤمنين في هذه الصورة المشرقة إذ يتداعى لون مشْرِق من وجوههم"[1].

قال الراغب الأصفهاني: "والإسْفارُ يختصّ باللّون، نحو: ﴿وَالصُّبْحِ إذا أَسْفَرَ﴾ [المدثر:34]، أي: أشرق لونه، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ [عبس:38]"[2].

وجاءت ﴿مُسْفِرَةٌ﴾ بصيغة اسم الفاعل لتُوحي بتمكن هذا الوصف منهم و﴿ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ بصيغة اسم الفاعل لتدل على الثبوت والدوام.

وتقابلها الصورة القاتمة للكافرين في الكنايتيْن ﴿غَبَرَةٌ﴾ و ﴿قَتَرَةٌ﴾ لتشويه منظرهم بلونين منفرين، فمن الأُولى يتداعى لون الغبار، ومن الثانية يتداعى اللون الأسود إذ ﴿قَتَرَةٌ﴾ "من القُتَارِ والْقَتَرِ وهو الدخان الساطع من الشِّواء والعود ونحوهما"[3].

6- كلمتا (**ناضِرَةٌ وباسِرَةٌ**) ومن الألفاظ التي تحمل معاني الألوان أيضاً كلمتا: (**ناضِرَةٌ – وباسِرَةٌ**) قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ. إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ. تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ﴾ [القيامة:22-25].

﴿نَاضِرَةٌ﴾ من الحسن والنضارة والبهاء والسرور أي مبيضة ناعمة مشرقة من بريق النعيم، و﴿باسِرَةٌ﴾ عابسة كالحة سوداء، مقطبة الجبين، وبَسَرَ "أي: أظهر العبوس قبل أوانه وفي غير وقته"[4].

7- تشبيه الوردة (**كَالدِّهَانِ**) ومن الألفاظ التي تحمل معاني الألوان تشبيه يوم القيامة (وَرْدَةً كَالدِّهانِ)، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: 37] فقوله:

1- المصدر السابق: 175.
2- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 412/1.
3- المصدر السابق: 655/1.
4- المصدر السابق: 122/1.

وردة: أي حمراء كلون الورد، شبه الباري جل جلاله انشقاق السماء بانشقاق الوردة، "والوردة تنشق من أعلاها حين ينفتح برعومها فيوشك إن هن تفطرن أن يخرْن على الأرض"[1].

قال محمد الأمين الشنقيطي: "وقوله: كالدهان: فيه قولان معروفان للعلماء:

الأول منهما: أن الدهان هو الجلد الأحمر، وعليه فالمعنى أنها تصير وردة متصفة بلون الورد مشابهة للجلد الأحمر في لونه.

والثاني: أن الدهان هو ما يدهن به... وحقيقة الفرق بين القولين أنه على القول بأن الدهان هو الجلد الأحمر يكون الله وصف السماء عند انشقاقها يوم القيامة بوصف واحد وهو الحمرة فشبهها بحمرة الورد، وحمرة الأديم الأحمر.

قال بعض أهل العلم: إنها يصل إليها حر النار فتحمر من شدة الحرارة. وقال بعض أهل العلم: أصل السماء حمراء إلا أنها لشدة بعدها وما دونها من الحواجز لم تصل العيون إلى إدراك لونها الأحمر على حقيقته، وأنها يوم القيامة ترى على حقيقة لونها.

وأما على القول بأن الدهان هو ما يدهن به، فإن الله قد وصف السماء عند انشقاقها بوصفين أحدهما حمرة لونها، والثاني أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن.

أما على القول الأول، فلم نعلم آية من كتاب الله تبين هذه الآية، بأن السماء ستحمر يوم القيامة حتى تكون كلون الجلد الأحمر.

وأما على القول الثاني الذي هو أنها تذوب وتصير مائعة، فقد أوضحه الله في غير هذا الموضع وذلك في قوله تعالى في المعارج: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج:7- 8]، والمهل شيء ذائب على كلا القولين، سواء قلنا: إنه دردي الزيت وهو عكره، أو قلنا: إنه الذائب من حديد أو نحاس أو نحوهما.

وقد أوضح تعالى في الكهف أن المهل شيء ذائب يشبه الماء، شديد الحرارة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:29].

والقول بأن الوردة تشبيه بالفرس الكميت وهو الأحمر لأن حمرته تتلون باختلاف الفصول، فتشتد حمرتها في فصل، وتميل إلى الصفرة في فصل، وإلى الغبرة في فصل، وأن المراد بالتشبيه كون السماء عند انشقاقها تتلون بألوان مختلفة واضح البعد عن ظاهر الآية"[2].

1- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: 30/25.

2- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415هـ، 1995مـ: 502/7.

وقد ذكر الدكتور مورثون دوكر في كتابه (طاقة الألوان) أن هذا اللون اللوردي أو الزهري هو "أحد الألوان التي استخدمها المصريون القدامى حيث شيدوا لمرضاهم معابد غنية بالألوان والإضاءة، لمعالجتهم من الأمراض المختلفة. وفي أيامنا هذه يستخدم اللون الوردي في السجون ومراكز الأبحاث، ومراكز علاج الإدمان، باعتباره مهدئاً للعدوانيين"[1].

8- كلمة (**مُدْهَامَّتَانِ**) ومن الألفاظ التي تحمل معاني الألوان كلمة ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن:64] أي: مخضرتان في غاية الخضرة، منظرهما ضارب إلى السواد من شدّة الاخضرار والنضرة، فهما شديدتا السواد لريّهما، وقيل: سواد العراق للموضع الذي يكثر فيه الخضرة.

و"الدُّهْمَة: سواد الليل، ويعبّر بها عن سواد الفرس، وقد يعبّر بها عن الخضرة الكاملة اللّون، كما يعبّر عن الدُّهْمَة بالخضرة إذا لم تكن كاملة اللّون، وذلك لتقاربهما باللون"[2].

و﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ هي صفة لقوله (جَنَّتَانِ) والتقدير: هما مُدْهَامَّتَانِ، وهي أقصر آية في عدد الكلمات، لذلك "قال أبو حنيفة وأحمد في رواية عنه: تجزئ قراءة آية من القرآن ولو كانت قصيرة ومثَّلَه الحنفية بقوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: 64]"[3].

9- كلمة (**يَحْمُومٍ**) ومن الألفاظ التي تحمل معاني الألوان كلمة (يحموم) قال الله عزّ وجل: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: 43]، وهو (يفعول) من الحميم، "قال ابن سيده: اليحموم الدخان، وقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾، عنى به الدخان الأسود... قال الأزهري: اليحموم اسم فرس كان للنعمان بن المنذر، سمي يحموماً لشدة سواده... واليحموم: الأسود من كل شيء، قال ابن سيده: وتسميته باليحموم تحتمل وجهين: إما أن يكون من الحميم الذي هو العَرَق، وإما أن يكون من السواد كما سميت فرس أخرى حممة"[4].

واليحموم أصله الدخان الشديد السّواد، " وتسميته إمّا لما فيه من فرط الحرارة، كما فسّره في قوله: ﴿لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: 44]، أو لما تصوّر فيه من لفظ الحممة فقد قيل للأسود يحموم، وهو من لفظ الحممة"[5]، وهذا هو الذي يظلل أصحاب الشمال، ريح حارة شديدة، والظل الذي يستظلون به دخان أسود كثيف مؤذٍ فيكون موافقاً لطباعهم السوداء، وعقائدهم الفاسدة، وهيئات نفوسهم الرديئة، ﴿لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ أي: ليس له صفة الظل الذي يأوي إليه الناس للراحة، فالناس تأوي إلى الظل

1- الألوان، كلود عبيد: 29.

2- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 320/1.

3- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور:284/29.

4 - لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ: 157/12-158.

5 - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 255/1.

لالتماس الراحة، للتفريج على أنفسهم من شدة الحر، فالظل الذي يرغب فيه يكون بارداً ويكون كريماً، أما هذا فهو ظل من يحموم من دخان أسود، والماء الذي ظنوا أنهم يتبردون به من الحميم، هذا مصيرهم في الآخرة.

الخاتمة

وهكذا نجد أن الألوان الرئيسة التي ذكرت في القرآن الكريم ستة، بدلالات مختلفة ومتعددة، وهناك ألفاظ تشير إلى الألوان كـ (أحوى، يحموم، قترة، غبرة، ناضرة، وباسرة، وغيرها)، وقد نصَّ القرآن على أن في اختلاف ألسنة البشر وألوانهم آيات باهرات لمن تفكر في عظمة الباري سبحانه، إذ للألوان تأثير شديد في شخصيةِ الإنسان وحياته، حيث تؤثر في سعادته وكآبته، وفي إقدامه وإحجامه، وربما أشْعَرَه ذلك اللون بالحرارة أو البرودة، فما أعظم نعمة الألوان!

وتتلخص أهم ما توصل إليه الباحث من **نتائج** خلال دراسته فيما يلي:

1- أن الباري سبحانه وتعالى خلق الكون وما فيه وجعله مسخراً للإنسان دون مقابل؛ ومن هذه المخلوقات نعمة الألوان.

2- أن لفظ (لون) مفردة ذكر في القرآن الكريم مرتين في آية واحدة من سورة البقرة المدنية.

3- أن لفظ (ألوان) جمعاً ورد في القرآن الكريم **سبع مرات،** في أربع سور مكية (النحل والروم وفاطر والزمر) في إشارة إعجازية من الباري جل جلاله إلى الأطياف اللونية السبعة المعروفة والتي يتكون منها الضوء الأبيض.

4- **أن** الألوان الرئيسة التي وردت في القرآن الكريم ستة وهي: (الأبيض، والأسود، والأصفر، والأحمر، والأزرق، والأخضر).

5- أن الدراسات الحديثة أدخلت (النور والظلام) ضمن أبحاث اللون، وهو كثير في القرآن الكريم، ويرمز إلى الخير والشر، والإيمان والكفر، والحق والباطل.

6- أن اللون الأبيض هو أفضل الألوان، وثاني الألوان ذكراً في القرآن الكريم، وأكثر الألوان ذكراً في القرآن، فقد ورد ذكره فيه **اثنتي عشرة مرة،** وقد تميَّز اللون الأبيض في الإسلام عن سائر الألوان في وظيفته وطبيعته ورمزيته ودلالاته.

7- أن دلالة اللون الأبيض في آيات القرآن توحي بالإيمان الناصع، والحزن الصادق، واللذة في الشراب، كما أنه رمز الصفاء والنقاء والطهارة.

8- أن اللون الأسود هو ثالث الألوان ذكراً في القرآن الكريم، وقد ورد في القرآن **سبع مرات** بعدد أبواب جهنم، وقد يعتبر هذا من الإعجاز العددي في القرآن الكريم.

9- أن اللون الأسود ارتبط خمس مرات بالوجه وما يتحول إليه من سواد في الدنيا والآخرة نتيجة سوء الأفعال، لتجسِّد حال الكفار؛ والذين في قلوبهم مرض، وتعبيراً عن حالة الاكتئاب

النفسي والتي تنعكس على الوجه بشكل خاص، كما أن هذا اللون القاتم الحالك ارتبط بالظلم، إذ بين الظلم والظلام أشياء كثيرة مشتركة في المعنى والدلالة واللغة.

10- أن اللون الأسود يرمز إلى عدة أشياء كالخوف من سواد الليل، ويرمز إلى الاحترام والهيبة كسواد كسوة الكعبة، والحجر الأسود، كما يرمز للثقة والفخامة والأناقة والأسرار والقوة والتحدي.

11- أن اللون الأصفر هو أول الألوان ذكراً في القرآن الكريم، وقد ورد ذكره في القرآن **خمس مرات**، وليس لهذا اللون إيحاءات ثابتة، فتارة يستمد دلالته على الثراء من الذهب الإبريز، وتارة من النحاس، كما يستمد أحياناً من صفرة الشمس عند المغيب أو النار، وأحياناً من ألوان بعض الثمار الناضجة، أما التي تسر الناظرين فهي البقرة؛ لذا أسند الفعل ﴿تَسُرُّ﴾ إلى ضمير البقرة لا إلى ضمير اللون.

12- أن اللون الأحمر هو سادس الألوان ذكراً في القرآن الكريم، وقد ورد هذا اللون بلفظه الصريح **مرة واحدة** فقط في القرآن؛ مزروعاً بين اللونين الأبيض والأسود، للدلالة على مشهد جميل وحسن، وهو من مظاهر الجمال الحسي.

13- أن اللون الأحمر ليس على درجة واحدة بل مختلف الدرجات، وكأن الأحمر نفسه عدة ألوان كما تشير إلى ذلك الآية ﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ حيث اللون الأحمر قابل للتدرج في الشدة أكثر من غيره.

14- أن اللون الأزرق هو خامس الألوان ذكراً في القرآن الكريم، فقد ورد هذا اللون أيضاً **مرة واحدة** فقط في القرآن، وذلك في وصف المجرمين حين يحشرون يوم القيامة، زُرْق العيون والجسوم على هيئة من ضُرِب فتغيّر جسمُه؛ وهو في جلد الإنسان قبيح المنظر.

15- أن اللون الأخضر هو رابع الألوان ذكراً في القرآن الكريم، فقد ذكر اللون الأخضر مع مشتقاته في القرآن **ثماني مرات** بعدد أبواب الجنة الثمانية، وهذا من إعجاز القرآن الكريم وعظمته، ويرمز اللون الأخضر للخصب والنماء، والري والربيع، والقوة والأمل وطول العمر، والنعومة في الحياة الدنيا، حيث هو لون لباس أهل الجنة.

16- أن القرآن الكريم ذكر ألفاظاً أخرى تحمل معاني الألوان دون لفظها، مثل: (الظلمة، النور، ضياء، الشيب، أحوى، مسفرة، قترة، غبرة، ناضرة، باسرة، وردة كالدهان، مدهامتان، يحموم) وكُلٌّ منها يرمز إلى شيء معين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

1- أسلوب السخرية في القرآن، عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م.

2- أشعار الشعراء السّتة الجاهليين، اختيارات من الشعر الجاهلي، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي المعروف بالأعلم (المتوفى: 476هـ) تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة 1403هـ، 1983م.

3- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415هـ، 1995م.

4- الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها) كلود عبيد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1434هـ 2013م.

5- الألوان في القرآن، عبد المنعم الهاشمي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.

6- الألوان في معجم العربية، عبد الكريم خليفة، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العد:33، السنة الحادية عشر، تموز –كانون الأول 1987م.

7- الألوان ودلالتها في القرآن الكريم، سليمان بن علي بن عامر الشعيلي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد 4، العدد 3، رمضان 1428 هـ أكتوبر 2007م.

8- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.

9- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

10- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (د.ت).

11- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف بالتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى:1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.

12- التدبيج في القرآن الكريم، عبد القادر عبد الله فتحي الحمداني، بحث منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 2، 2011/06/29م.

13- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

14- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م.

15- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى 1419 هـ.

16- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى:1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ، 1946م.

17- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ، 2000م.

18- الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي" أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ، 1964م.

19- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق (د.ت).

20- ديوان امرؤ القيس، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة 1984م.

21- رمزية الألوان بين الأديان – اليهودية والإسلام، محمد كمال جعفر، (د.ت).

22- شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ، 1983م.

23- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ-1987م، مادة [ل و ن].

24- الضوء واللون في القرآن الكريم: الإعجاز الضوئي- اللوني، نذير حمدان، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.

25- الطب النبوي، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 2006م.

26- الطبيعة في القرآن الكريم، كاصد ياسر الزيدي، دار الرشيد، العراق، 1980م.

27- ظاهرة اللون في القرآن الكريم، محمد قرانيا، بحث منشور في مجلة التراث العربي، العدد 70 كانون الثاني يناير، السنة الثامنة عشر 1998م.

28- علم البيان في الدراسات البلاغية، علي البدري، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية 1984م.

29- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ.

30- -الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (د.ت).

31- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1422هـ، 2002م.

32- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة 25، 1996م.

33- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.

34- الكناية في القرآن الكريم، أحمد فتحي رمضان، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1995م.

35- لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى:711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

36- اللغة واللون، أحمد مختار عمر، دار البحوث العلمية، الطبعة الأولى، 1982م.

37- اللون في القرآن الكريم، أسماء وليد حمدون، بحث منشور في مجلة دراسات تربوية، وزارة التربية في العراق، عدد 3، 2008م.

38- اللون ودلالاته في القرآن الكريم، نجاح عبد الرحمن المرازقة، رسالة ماجستير غير مطبوعة، قدمت في المملكة الأردنية، جامعة مؤتة قسم اللغة العربية عام 2010م.

39- اللون، محمد يوسف همام، مطبعة الاعتماد، مصر، الطبعة الأولى، 1970م، واللغة واللون، أحمد مختار عمر، دار البحوث العلمية، الطبعة الأولى، 1982م.

40- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثالثة، 1423هـ، 2003م.

41- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.

42- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وغيره، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

43- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وغيره، نشر دار الدعوة (د.ت).

44- مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1420هـ.

45-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ.
46- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت).


فهرس